التفسير العلمي في تفسير القرآن العظيم المسمى أولى ما قيل في آيات التنزيل للشيخ رشيد الخطيب الموصلي "دراسة موضوعية"

Ali Saeed KHALAF

2022

رسالة ماجستير

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

المشرف

Prof. Dr. Abdulcebbar KAVAK

التفسير العلمي في تفسير القرآن العظيم المسمى أولى ما قيل في آيات التنزيل للشيخ رشيد الخطيب الموصلي "دراسة موضوعية"

Ali Saeed KHALAF

بحث أُعدّ لنيل درجة الماجستير في قسم العلوم الإسلامية الأساسية بمعهد الدراسات العليا بجامعة كارابوك في تركيا

المشرف

Prof. Dr. Abdulcebbar KAVAK

كارابوك

ديسمبر/2022

المحتويات

المحتويات..... 1
صفحة الحكم على الرسالة (باللغة التركية)..... 5
DOĞRULUK BEYANI..... 7
تعهد المصداقية..... 8
الإهداء..... 9
شكر وعرفان..... 10
مقدمة..... 11
ملخص..... 12
ÖZET..... 13
ABSTRACT..... 14
ARŞİV KAYIT BİLGİLERİ..... 15
بيانات الرسالة للأرشفة (باللغة العربية)..... 16
ARCHIVE RECORD INFORMATION..... 17
الاختصارات..... 18
أهمية البحث:..... 19
أهداف البحث:..... 19
أسباب اختيار الموضوع:..... 19
إشكالية البحث:..... 19
منهجية البحث:..... 19
الدراسات السابقة:..... 20
الفجوة البحثية:..... 23
الفصل الأول: الشيخ رشيد الخطيب الموصلي ومفهوم التفسير العلمي..... 24

المبحث الأول: نبذة عن حياة الشيخ رشيد الخطيب الموصلي. 24
المطلب الأول: أسمه وأسرته ونشأته.....24
المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه. 26
المطلب الثالث: حياته العلمية والعملية وشخصيته. 27
المبحث الثاني: الشيخ رشيد الخطيب عقيدته ومذهبه والثناء عليه وفاته وآثاره ونبذه عن تفسيره. 31
المطلب الأول: عقيدته ومذهبه وثناء العلماء عليه. 31
المطلب الثاني: وفاته وآثاره العلمية. 33
المطلب الثالث: نبذة عن تفسير (أولى ما قيل في آيات التنزيل). 36
المبحث الثالث: مفهوم التفسير العلمي وأهميته في علم التفسير 38
المطلب الأول: تعريف التفسير العلمي وبيان مفهومه.....38
المطلب الثاني: أهمية التفسير العلمي.....42
المطلب الثالث: أثر التفسير العلمي في علم التفسير.....43
المبحث الرابع: الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.....47
المطلب الأول: مفهوم الإعجاز العلمي.....47
المطلب الثاني: آراء العلماء في الإعجاز العلمي.....50
المطلب الثالث: الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي وضوابط العمل بهما. 55
الفصل الثاني: التفسير العلمي المتضمن للحقائق العلمية حول السماء والفلك 59
المبحث الأول: التفسير العلمي المتضمن للحقائق العلمية حول السماء 59
المطلب الأول: ظاهرة البرق واشتمالها على عملية الصعق الكهربائي. 60
المطلب الثاني: حقيقة المادة التي تكونت منها السماوات. 61
المطلب الثالث: سعة السماء الدنيا. 62
المطلب الرابع: طبيعة العلاقة بين السماء والأرض.....64
المطلب الخامس: ظاهرة انحسار الأوكسجين في طبقات الجو العليا.....65
المطلب السادس: ضرورة الغلاف الجوي في حفظ الحياة على الأرض. 67

المطلب السابع: كيفية تكوين السُّحب. 68
المبحث الثاني: التفسير العلمي لآيات الفلك.....70
المطلب الأول: حركة النظام الشمسي. 70
المطلب الثاني: العلاقة بين الشمس والقمر.....71
المطلب الثالث: دقة التوازن في النظام الشمسي.....73
المطلب الرابع: تراكيب النجوم في نظام الفلك.....75
المطلب الخامس: منطقتي الشروق والغروب الدائم.....77
الفصل الثالث: التفسير العلمي المتضمن لعجائب الخلق وبعض الحكم التشريعية 79
المبحث الأول: التفسير العلمي المتضمن لعجائب الخلق.....79
المطلب الأول: من عجائب الله في خلقه تنوع المحاصيل شكلاً وطعماً.....79
المطلب الثاني: كيفية تكون جسم الإنسان.....81
المطلب الثالث: كيفية تكوين الأرض.....83
المطلب الرابع: ظاهرة الزلازل وآثارها على الأرض.....84
المطلب الخامس: عملية الإدراك في المخلوقات. 85
المطلب السادس: الإعجاز في خلق الظل.....87
المطلب السابع: التناسق بين المخلوقات كماً ونوعاً. 88
المطلب الثامن: الحكمة في اختلاف الألسن والألوان.....89
المطلب التاسع: قوة التجاذب بين الأجسام.....91
المطلب العاشر: الإعجاز في خلق الإبل.....92
المطلب الحادي عشر: الازدواج في الخلق. 95
المبحث الثاني: التفسير العلمي المتضمن لبعض الحكم التشريعية 96
المطلب الأول: الحكمة من تشريع الصيام.....96
المطلب الثاني: الحكمة من جعل العبادات على التوقيت بالأهلة.....99
المطلب الثالث: الحكمة من تحريم لحم الخنزير.....101

المطلب الرابع: الحكمة من تشريع غسل الجنابة.....103
الخاتمة والنتائج.....105
التوصيات:.....107
المصادر والمراجع.....108
السيرة الذاتية.....118

صفحة الحكم على الرسالة (باللغة التركية)

Alı Saeed KHALAF tarafından hazırlanan "ŞEYH REŞİT MUHAMMED HATİP MUSILÎ'NİN EVLÂ MÂ KÎL FÎ ÂYÂTİ'T-TENZÎL ADLI İLMÎ TEFSİRİ - OBJEKTİF ÇALIŞMA" başlıklı bu tezin Yüksek Lisans Tezi olarak uygun olduğunu onaylarım.

Prof. Dr. Abdulcebbar KAVAK .....

Tez Danışmanı, Temel İslami Bilimleri

Bu çalışma, jürimiz tarafından Oy Birliği ile Temel İslami Bilimlernda Yüksek Lisans tezi olarak kabul edilmiştir 22.12.2022.

Ünvanı, Adı SOYADI (Kurumu) **İmzası**

Başkan : Prof. Dr. Abdulcebbar KAVAK (KBÜ) .....

Üye : Dr. Öğr. Üyesi. Hossam Moussa M. SHOUSHA (KBÜ) .....

Üye : Dr. Öğr. Üyesi. Ahmet HAMİTOĞLU (AİÇÜ) .....

KBÜ Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Yönetim Kurulu, bu tez ile, Yüksek Lisans Tezi derecesini onamıştır.

Prof. Dr. Müslüm KUZU .....

Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Müdürü

صفحة الحكم على الرسالة

أصادق على أن هذه الأطروحة التي أعدت من قبل الطالب علي سعيد خلف بعنوان "التفسير العلمي في تفسير القرآن العظيم المسمى أولى ما قيل في آيات التنزيل للشيخ رشيد الخطيب الموصلي. دراسة موضوعية" في برنامج الماجستير هي مناسبة كرسالة ماجستير.

Prof. Dr. Abdulcebbar KAVAK. .....

مشرف الرسالة، العلوم الاسلامية الاساسية

قبول

تم الحكم على رسالة الماجستير هذه بالقبول بإجماع لجنة المناقشة بتاريخ.

22.12.2022

التوقيع **أعضاء لجنة المناقشة**

رئيس اللجنة : Prof. Dr. Abdulcebbar KAVAK (KBÜ) .....

عضواً : Dr. Öğr. Üyesi. Hossam Moussa M. SHOUSHA (KBÜ) .....

عضواً : Dr. Öğr. Üyesi. Ahmet HAMİTOĞLU (AİÇÜ) .....

تم منح الطالب بهذه الأطروحة درجة الماجستير في قسم العلوم الإسلامية الاساسية من قبل مجلس إدارة معهد الدراسات العليا في جامعة كارابوك.

Prof. Dr. Müslüm KUZU .....

مدير معهد الدراسات العليا

DOĞRULUK BEYANI

Yüksek lisans tezi olarak sunduğum bu çalışmayı bilimsel ahlak ve geleneklere aykırı herhangi bir yola tevessül etmeden yazdığımı‹ araştırmamı yaparken hangi tür alıntıların intihal kusuru sayılacağını bildiğimi‹ intihal kusuru sayılabilecek herhangi bir bölüme araştırmamda yer vermediğimi‹ yararlandığım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden oluştuğunu ve bu eserlere metin içerisinde uygun şekilde atıf yapıldığını beyan ederim.

Enstitü tarafından belli bir zamana bağlı olmaksızın‹ tezimle ilgili yaptığım bu beyana aykırı bir durumun saptanması durumunda‹ ortaya çıkacak ahlaki ve hukuki tüm sonuçlara katlanmayı kabul ederim.

Adı Soyadı: Alı Saeed KHALAF

İmza :

تعهد المصداقية

أقر بأنني التزمت بقوانين جامعة كارابوك، وأنظمتها، وتعليماتها، وقراراتها سارية المفعول المتعلقة بإعداد أبحاث الماجستير والدكتوراه أثناء كتابتي هذه الأطروحة التي بعنوان:

"التفسير العلمي في تفسير القرآن العظيم المسمى أولى ما قيل في آيات التنزيل للشيخ رشيد الخطيب الموصلي دراسة موضوعية"

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الأبحاث العلمية، كما أنني أعلن بأن أطروحتي هذه غير منقولة، أو مستله من أطروحات، أو أبحاث أو أية منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أية وسيلة إعلامية باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد.

اسم الطالب: علي سعيد خلف

التوقيع: .....

الإهداء

إلى أمتي الغالية، وشيوخي العلماء العاملين، وأساتذتي الأفاضل

إلى أستاذي ومشرف رسالتي هذه الدكتور عبد الجبار كافاك حفظه الله

إلى والدي وأبنائي وجميع أهلي وأصحابي

إلى كل من علمني حرفا في سبيل الله

أهدي هذا العمل المبارك إن شاء الله

شكر وعرفان

قال رسول اللهﷺ «لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ» [1] ولذا أتقدم بالشكر الجزيل لكل من أعان وصوب وسدد بنصح أو مشورة أو تصويب، وأخص بالذكر شيخي وأستاذي ومن تشرفت بإشرافه عليّ (الأستاذ المشارك الدكتور: عبد الجبار كافاك) الذي كان له كبير الأثر في إخراج هذه الرسالة بهذه الحلة القشيبة من خلال تصوياته وتعديلاته ونصائحه فله مني جزيل الشكر والعرفان على ما قدم ويقدمهُ فجزاه الله عني كل خير.

كما أني لا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل للقائمين على جامعة كارابوك أساتذة وموظفين وعاملين وأخص منهم بالذكر أساتذتي في قسم العلوم الإسلامية الأساسية على ما بذلوه من جهود لإنجاح هذه المسيرة العلمية في هذا الصرح العلمي الشامخ.

والشكر موصول لأساتذتي في لجنة المناقشة لما سيبذلونه من جهود في سبيل الوصول بهذا العمل إلى أبهى صورة ممكنة، فلهم مني جميعاً الشكر والعرفان.

1 أخرجه احمد, سنن الامام احمد بن حنبل, مسند ابي هريرة (رضي الله عنه), 322/13, حديث رقم: 7938, حديث إسناده صحيح على شرط مسلم.

مقدمة

الحمد لله أحمدهُ وأستعينهُ وأستغفرهُ وأستهديه وأؤمنُ به وأتوكلُ عليه وأُثني عليه الخير كله، وأشكره ولا أكفره وأخلع وأترك من يفجره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ بعثه الله على فترةٍ من الرسل بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فصلى الله وسلم وبارك عليه، كما عرف بالله ودعا إليه، أحمدهُ حمد الشاكرين، وأشكرهُ شكر الذاكرين المستغفرين، الحمد لله الذي دلّ على ذاتهِ بذاتهِ وتفرد بكمال أسمائه وصفاتهِ، وتنزه عن مشابهة مخلوقاتهِ، وتجلى للخلائق بدلائل آياتهِ، وجعل القرآن العظيم تبياناً لما استتر وخفي من مجهولاتهِ، والذي أقام من أهل العلم من يظهرون معجزاته وعجائب دلالاتهِ سبحانهُ من ربٍ كريم رحيمٍ بعبادهِ ومخلوقاتهِ؛ وبعد:

فإن شرف العلم بشرف المعلوم، ولما كانت علوم القرآن والتفسير تتعلق بكتاب الله العزيز شُرفت وتشرفت فكانت من أشرف العلوم قدراً وصار أهلها هم أهل الله وخاصته، فأهل التفسير هم أسعد الناس بالقرآن صحبةً، وأرفعهم بين العباد منزلةً إذ سعوا إلى فهمه وتدبره وبيان معانيه وحكمه فعزو بالقرآن وارتفعوا به، قال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» [1].

وقد ظهر على مر العصور كوكبة من أهل العلم ممن نذروا نفوسهم وكرسوا أوقاتهم في خدمة القرآن الكريم فبذلوا وسعهم وأجالوا الفكر والنظر في استخراج واستنباط عجائب وفرائد ما استودع من مكنون العلوم في هذا السفر المعجز فكانوا بحق أئمة هدى ومصابيح دجى أناروا للناس طريقهم فارتفعوا بالقرآن ورفعهم القرآن وخلد ذكرهم قال ﷺ: «ن الله ليرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع وبه آخرين» [2]، فكان من هؤلاء ممن تشرف بالقرآن الشيخ المفسر العالم العارف رشيد الخطيب الموصلي، والذي سأتناول شيئاً مما أودعه في تفسيرهِ المنعوت (أولى ما قيل في آيات التنزيل) من صور التفسير العلمي الذي أضاف لهذا التفسير ميزةً ميزتهُ عن غيرهِ من التفاسير.

---

1 أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، 192/6، حديث رقم: 5027.

2 أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن، ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه، أو غيره فعمل بها وعلمها، 559/1، حديث رقم: 817.

ملخص

يتناول هذا البحث صورة من صور التفسير العلمي في تفسير القرآن لعالم من علماء المرحلة الحديثة والتي تحمل أعبائها ثلة خيرة من أهل العلم، كان الشيخ الموصلي أحد دعاماتها وقد وظف الشيخ العلوم العصرية الحديثة توظيفاً حسناً في خدمة النص القرآني وبيان المعاني الإعجازية فيه، فتناول علوم الفلك والفيزياء والأرض والجيولوجيا وعلوم التشريح وسخرها في خدمة المعاني القرآنية وقد أحسن الربط بين العلوم المعاصرة ونصوص الوحي فخرجت عبارته في التفسير على نمط يعالج الواقع المعاصر في التفسير العلمي مع المحافظة على أصالة النص القرآني فكانت طريقته على المنهج المحمود والمرضي في التفسير العلمي. كما إن البحث تناول طريقة العابثين في النصوص وبين عوارها وأظهر مواطن الخلل فيها مع بيان الضوابط العلمية التي تضبط معاني التفسير الصحيح فكانت هذه الرسالة تجربة فذة لإبراز مظاهر التفسير العلمي في الخطاب القرآني والتي ضمنها الشيخ رشيد الخطيب. وكيف استطاع الشيخ توظيف السياق القرآني في إظهار حجية القرآن الكريم وصدقه وأنه من عند الله عز وجل، مستمرا في الحقائق العلمية والعلوم العصرية وتوظيفها بشكل لا يتعارض مع قداسة النص بأسلوب عصري من أجل تدعيم الجوانب الإيمانية للفرد المسلم وترسيخ الإيمان في قلوب الأمة للوقوف بوجه المشككين والساعين للنيل من القرآن مستخدما الأسلوب التحليلي الوصفي المستند إلى المعاير الأكاديمية وفق الأسس العلمية للبحوث والدراسات العليا التي تعتمدها الجامعات الرصينة.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، التفسير، رشيد الموصلي، التفسير العلمي.

ÖZET

"Şeyh Reşit Muhammed Hatip Musılî'nin Evlâ Mâ Kîl Fî Âyâti't-Tenzîl Adlı İlmî Tefsiri - objektif çalışma" Bu araştırma‹ Kur'an tefsirinde tecdîd yöntemini ele almaktadır. Çağımızın ilim ehline öncülük eden bir alim olarak Şeyh El-mevsılî‹ Kur'an'ın anlaşılmasına hizmet etmek ve onun sahip olduğu mucizevi manaları ortaya çıkarmak için modern-çağdaş bilimlerden istifade etti. O astronomi‹ fizik‹ jeoloji ve anatomi ile ilgilenerek bu ilimleri Kur'an'ın manalarının anlaşılması yolunda kullanmıştır. Çağdaş ilimlerle vahiy metni arasında sağlam bir bağ kurmuş‹ gelenek ve yeniliği birlikte koordine etmiştir. Böylece onun tefsirdeki düşüncesi‹ Kur'ân metninin orijinalliğini korurken‹ tecdîd ruhu içinde çağdaş realiteye çözüm sunan bir üslupla ortaya çıkmıştır. Onun tecdîd konusundaki yöntemi takdire şayan bir yöntem kabul edilmiştir. Araştırma ayrıca tecdîd yöntemini‹ metni gözardı ederek uygulamayı savunanların hatalarını göstermiş‹ tecdîdin doğru uygulanış biçimini ilkeleriyle ortaya koymuştur. Bu tez‹ Şeyh Beşir El-Hatîb'in savunduğu Kur'an'ın tecdîd konusundaki söylemlerini vurgulayan bir araştırmadır. El-Hatîb‹ Kur'an metninin bağlamının tecdîdi doğruladığını ve buna delil oluşturduğunu ortaya koymuştur. O‹ Müslüman ferdin imanını güçlendirmek‹ ümmetin kalbindeki imanı pekiştirmek ve şüphe edip Kur'ân'dan uzaklaştırmaya çalışanlara karşı durmak için metnin kutsallığını reddetmeden çağdaş ilmî gerçeklerden modern bir yöntemle istifade etmiştir. Araştırmada lisansüstü çalışmalarda geçerli kabul edilen tanımlayıcı-analitik yöntem takip edilmiştir.

Anahtar Kelimeler: Tecdîd Söylemi‹ El-mevsılî‹ Bakara Sur

ABSTRACT

“Sheikh Reşit Muhammed Hatip Musılî's Scientific Commentary named Evlâ Mâ Kîl Fî Âyâti't-Tenzîl - Subject Research”. This research deals with the method of tajdid in the tafsir of the Qur'an. As a scholar who pioneered the people of science of our time‹ Sheikh Al-Mawsili benefited from modern-contemporary sciences to serve the understanding of the Qur'an and to reveal its miraculous meanings. He was interested in astronomy‹ physics‹ geology and anatomy and used these sciences to understand the meanings of the Qur'an. He established a strong link between contemporary sciences and the text of revelation‹ and coordinated tradition and innovation together. Thus‹ his thought in tafsir emerged with a style that offers a solution to contemporary reality in the spirit of tajdid‹ while maintaining the authenticity of the Qur'an text. His method on tajdid has been accepted as an admirable method. The research also showed the mistakes of those who advocate applying the tecdid method by ignoring the text‹ and revealed the correct way of applying tecdid with its principles. This thesis is research that highlights the discourses of the Qur'an on the subject of tajdid‹ defended by Sheikh Bashir al-Khatib. Al-Khatib has revealed that the context of the Qur'an text confirms the tajdid and creates evidence for it. He has benefited from contemporary scientific facts in a modern way without denying the sanctity of the text in order to strengthen the faith of the Muslim individual‹ to consolidate the faith in the heart of the ummah‹ and to stand against those who doubt and try to turn people away from the Qur'an. In the research‹ the descriptive-analytical method‹ which is accepted as valid in graduate studies‹ was followed.

Keywords: Tajdid Discourse‹ Al-Mawsili‹ Surah Al-Baqara.

ARŞİV KAYIT BİLGİLERİ

Tezin Adı	"ŞEYH REŞİT MUHAMMED HATİP MUSILÎ'NİN EVLÂ MÂ KÎL FÎ ÂYÂTİ'T-TENZÎL ADLI İLMÎ TEFSİRİ - OBJEKTİF ÇALIŞMA"
Tezin Yazarı	Ali Saeed KHALAF
Tezin Danışmanı	Prof. Dr. Abdulcebbar KAVAK
Tezin Derecesi	yüksek lisans
Tezin Tarihi	22.12.2022
Tezin Alanı	Temel İslami Bilimler
Tezin Yeri	KBÜ/LEE
Tezin Sayfa Sayısı	118
Anahtar Kelimeler	Yenileme söylemi‹ Mevsili‹ Bakara Suresi.

بيانات الرسالة للأرشفة (باللغة العربية)

عنوان الرسالة	التفسير العلمي في تفسير القرآن العظيم المسمى أولى ما قيل في آيات التنزيل للشيخ رشيد الخطيب الموصلي. دراسة موضوعية
اسم الباحث	علي سعيد خلف
اسم المشرف	الأستاذ الدكتور. عبد الجبار كافاك
المرحلة الدراسية	الماجستير
تاريخ الرسالة	22.12.2022
تخصص الرسالة	العلوم الإسلامية الأساسية
مكان الرسالة	جامعة كارابوك– معهد الدراسات العليا
عدد صفحات الرسالة	118
الكلمات المفتاحية	القرآن الكريم، التفسير، رشيد الموصلي، التفسير العلمي.

ARCHIVE RECORD INFORMATION

Name of the Thesis	“SHEİKH REŞİT MUHAMMED HATİP MUSILÎ'S SCİENTİFİC COMMENTARY NAMED EVLÂ MÂ KÎL FÎ ÂYÂTİ'T-TENZÎL - SUBJECT RESEARCH”
Author of the Thesis	Ali Saeed KHALAF
Advisor of the Thesis	Prof. Dr. Abdulcebbar KAVAK
Status of the Thesis	Master's
Date of the Thesis	22.12.2022
Field of the Thesis	Basic Islamic Sciences
Place of the Thesis	KBU/LEE
Total Page Number	118
Keywords	The renewal discourse، Al-Mawsili، Surat Al-Baqarah.

الاختصارات

الاختصار	المعنى
ص:	صفحة.
ت:	توفي.
ج:	جزء، إذا كان بعد اسم الكتاب، مقروناً برقم يبين عدد أجزاء الكتاب.
جـ:	جزء، إذا اقترن برقم الصفحة الذي يدل على الجزء الذي وثق منه.
(1).	عند توثيق المصدر والمرجع.
د.ت:	دون تاريخ نشر.
د. م:	دون مكان نشر.
د. ط:	دون طبعة.
د.ن:	دون دار نشر.
ط:	طبعة.
هـ:	هجري.
م:	ميلادي.
الخ:	إلى آخره.
ﷺ:	صلى الله عليه وسلم.
ﷻ:	الله عز وجل.
رضي الله عنه:	رضي الله عنه .

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كونه محاولة لعرض صورة من صور التفسير العلمي، باعتباره عنصراً مساهماً في عوامل النهضة المعاصرة للأمة الإسلامية، والتأكيد على حركة التفسير المتجددة، والقادرة على توضيح كتاب الله تعالى وإيصاله إلينا بما يتناسب مع حاجة العصر، وذلك بجمعه بين أصالة النص وحداثة الواقع المعاصر الذي نعيشه.

أهداف البحث:

يهدف البحث بالدرجة الأساس إلى إبراز التفسير العلمي الذي ضمنه الشيخ الخطيب الموصلي في تفسيره (أولى ما قيل)، وكيف وظف الشيخُ السياقَ القرآني في إظهار أحقية القرآن الكريم، وأنه من عند الله عز وجل، من أجل تدعيم الجوانب الإيمانية للفرد المسلم، وللوقوف بوجه المشككين والمتربصين للنيل من عالمية القرآن الكريم، والنهوض بالأمة من جديد.

أسباب اختيار الموضوع:

إن من الأسباب الرئيسة التي دفعتني إلى الكتابة في هذا الموضوع هو التقرب إلى الله عز وجل بخدمة كتابه العزيز في محاولة للكشف عن الحقائق العلمية وإظهار صورة من صور الإعجاز العلمي في زمن كثر فيه الجهال أو من يتعمد التشكيك في صدق القرآن الكريم وثوابت الدين، فكانت هذه الدراسة محاولة في دفع إيهام وتشكيك المبطلين، وخطوة إلى الأمام في تثبيت اليقين والثبات عليه.

إشكالية البحث:

تبرز إشكالية الدراسة في كون الشيخ رشيد الخطيب قد ضمن في تفسيره جملة من الآيات العلمية، غير أنها منثورة ومشتتة في ثنايا تفسيره، ولم يعمل أحد من قبل على لم شتات هذه الآيات النيرات، فلذا كان على الباحث جمعها، ولم شتاتها ليتسنى لطلبة العلم والباحثين الاستفادة منها في المجالات المختلفة المرتبطة مع علم التفسير والإعجاز العلمي بصورة عامة.

منهجية البحث:

اعتمدت في البحث على منهجين من مناهج البحث وهما:

المنهج الوصفي الاستقرائي: حيث تم استقصاء الآيات العلمية التي ضمنها الشيخ رشيد الموصلي تفسيره، ثم تقسيمها على حسب دلالاتها العلمية إلى مباحث ومطالب.

منهجيتي في البحث والترتيب:

أولاً: عزو الآيات القرآنية إلى مكانها في السور مع بيان أرقامها، معتمداً رسم المصحف.

ثانياً: تخريج الأحاديث النبوية الواردة بالبحث، فما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيتُ بذكره ، وما كان في غيرهما من كتب السنة فأنقل حكم أهل العلم على ذلك الحديث ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

ثالثاً: توثيق جميع النقول، بذكر معلومات الكتاب كاملة إن ورد أول مرة، إلا ما كان من سنة الطبع فقد اكتفيتُ بذكر التاريخ الميلادي لتحقق المقصود به من غير إطالة، فإن تكرر ذكر الكتاب اكتفيت باسمه، ومؤلفه مختصراً، ورقم الجزء، والصفحة.

رابعاً: قمتُ بترتيب المطالب على النحو الآتي:

- جعل الآية العلمية مطلباً مستقلاً، وضمنها كل ما يتعلق بها من أدلة ونصوص وأقوال أهل العلم، كي تتكامل المادة، وتكون موضوعاً يستفاد منه في بابه.
- ذكرتُ في بداية كل مطلب كلام الشيخ في التفسير العلمي الذي أورده الشيخ في تفسيره أولاً، ثم ختمتُ المطلب بذكر تقرير الحقائق العلمية.

خامساً: ترجمة الأعلام غير المشاهير، للتعريف بهم، وتركتُ ما كان مشهوراً وذلك تجنباً للإطالة وإثقال الهوامش.

الدراسات السابقة:

بحسب اطلاعي القاصر لم أقفْ على دراسة مستقله تطرقت إلى الآيات العلمية للشيخ رشيد الخطيب الموصلي، فما هو موجود من الدراسات إنما أولت العناية بتفسيره بصوره عامة، ومنها:

1- **منهج العلامة الشيخ رشيد الخطيب الموصلي في الحديث الشريف من خلال تفسيره أولى ما قيل في آيات التنزيل**[1]، وهي دراسة حديثية قد حاول الباحث دراسة منهج العلامة رشيد الخطيب الموصلي في الحديث الشريف من خلال تفسيره (أولى ما قيل في آيات التنزيل) وذلك في فصلين وخاتمة، ففي المبحث الأول تناول منهج الشيخ في ذكر الأحاديث الصحيحة، والضعيفة، والموضوعة. وفي المبحث الثاني تناول منهجه في ذكر معنى الحديث الشريف، ورواية الحديث بالمعنى، وحكم رواية الحديث بالمعنى وضوابطها. وقد توصل الباحث إلى عددٍ من النتائج ذكرها في الخاتمة. وانتهى البحث إلى إثبات أنَّ السنة النبوية مفسرة ومبينة للقرآن الكريم. وبحثي يتميز عن هذه الدراسة من حيث الغرض من الدراسة، فبحثي تفسيري علمي، أما هذه الدراسة فهي دراسة حديثية بالدرجة الأولى.

2- **البيان القرآني في تفسير أولى ما قيل**[2]، للدكتور عقيد خالد حمودي العزاوي، وقد تناولها الكاتب في تمهيد وثلاثة فصول، حيث تناول في التمهيد سيرة الشيخ منذ ولادته حتى وفاته، وأثره العلمي، وفي الفصل الثاني تناول علم المعاني الوارد في تفسير أولى ما قيل، حيث تناول الخبر والإنشاء وأنواعه المختلفة حيث وردت من أمر ونهي واستفهام ونداء وتمني وغير ذلك، وفي الفصل الثالث تناول علم البيان الوارد في التفسير، حيث تناول التشبيه بأنواعه، والحقيقة والمجاز وصور ذلك المختلفة، ثم تناول في نفس الفصل الاستعارة بأنواعها، ثم المجاز بأنواعه، والكناية والتعريض، وفي الفصل الثالث والأخير تناول علم البديع، كالمشاكلة واللف والنشر والمقابلة والالتفات، وغير ذلك من أبواب علم البديع، ثم ختم بخاتمة شملت النتائج والتوصيات، والملاحظ على هذا البحث أنه بحث لغوي بالدرجة الأولى، أما البحث الذي بين يدينا سيركز على التفسير من الناحية العلمية، وهو ما يميزه عن سابقه.

3- **منهج الشيخ رشيد الخطيب في تفسير آيات الصفات. دراسة موضوعية** [3]، وهو بحث مشترك قدمه كل من الدكتور محمد أحمد مصلح المشهداني، والدكتور إدريس عسكر العيساوي، حيث تناولا فيه دراسة لشخصية الشيخ رشيد الخطيب من خلال تفسيره لأولى ما قيل في آيات التنزيل. وذكرا في المبحث الأول

---

1 فرهاد أحمد عثمان، مدرس بجامعة جامعة صلاح الدين- كلية العلوم الإسلامية، (بحث منشور في مجلة الدراسات التربوية والعلمية، جامعة صلاح الدين، ديسمبر 2015م).

2 عقيد خالد حمودي العزاوي، (بحث تقدم به إلى قسم علوم القرآن في كلية التربية/ ابن رشد في جامعة بغداد سنة2010م).

3 بحث مشترك قدمه كلاً من الدكتور محمد أحمد مصلح المشهداني، والدكتور إدريس عسكر العيساوي، (بحث منشور في مجلة الدراسات التربوية والعلمية في كلية التربية/ الجامعة العراقية، كانون الثاني لسنة 2016م).

حياته ونشأته، وشيوخه، وتلاميذه، وآثاره، ووفاته. وفي المبحث الثاني بينا فيه آراء وأقوال الشيخ الخطيب في آيات الصفات، حيث وجداه معتدلا، وسطا بين المثبتة والمعطلة فسار فيها مذهب الخلف في تأوليها تأويلا لا يخرج فيها عن جمهور المفسرين، وهو بذلك يكون أشعري العقيدة منصفا في أقواله حتى مع المخالفين له. وفسر هذه الآيات تفسيرا منضبطا بقواعد اللغة ومنسجما مع سياقها في كتاب الله ﷻ، مع مراعاة تنزيه الله ﷻ. وما يميز بحثي عن هذه الدراسة أنها دراسة عقدية، تناولت الموضوع من ناحية العقيدة، أما بحثي فيتناول الموضوع من الناحية العلمية.

4- **التوظيف السياقي عند الشيخ رشيد الخطيب في جانب العقيدة والدعوة**[1]، وهي دراسة تناول فيها الباحث التوظيف السِّياقي عند رشيد الخطيب في جانبي العقيدة والدعوة من خلال تفسيره أولى ما قيل في آيات التنزيل، وهدف الباحث من تلك الدراسة هو إبراز توظيف الشيخ لسياق الآيات في بثِّ أفكاره العقدية والدعوية، بعيداً عن أقوال الأصوليين، ومصطلحات المناطقة، والفلاسفة؛ وقد تناول الباحث هذه الدراسة في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفي المقدمة ذكر فيها هدف البحث، وأهميته، ومنهجيته. وخصص التمهيد للتعريف بالتوظيف السِّياقي. ومن ثم جعل المبحث الأول لبيان التوظيف السِّياقي في الجانب العقدي، وأفرد المبحث الثاني لبيان التوظيف السِّياقي في الجانب الدّعوي، ثم في الخاتمة ذكر فيها أبرز النتائج، ومنها أن الخطيب قد أكثر من مباحث العقيدة، والدّعوة، وعلم الاجتماع والتربية، وضرب الأمثال في تفسيره. كما ركّز الخطيب على حاجة المجتمع إلى المنهج الدّعوي الحركي السلوكي للمسلم من القرآن الكريم، فهو منهج ينسجم مع روح العصر، ويقف في وجه التحديات التي تواجه الأمّة الإسلامية، وهذا البحث على الرغم من دراسته المتعمقة في منهج الشيخ الدعوي والحركي، غير أنه لم يتطرق إلى الناحية العلمية التي امتلأ بها التفسير، وهو ما يميز بحثي.

5- **معالم التدبر عند الشيخ رشيد الخطيب الموصلي في تفسيره (أولى ما قيل في آيات التنزيل)**[2]، وقد هدف الباحث إلى إظهار معالم تدبر القرآن الكريم عند الشيخ رشيد الخطيب، وهو أحد أعلام المفسرين العراقيين المعاصرين، حيث أكد الباحث على جهود الشيخ في بيان الأسس المعينة على تدبر القرآن الكريم والوقوف على الجوانب التطبيقية السلوكية التي ملأ بها تفسيره، وقد تناول البحث من خلال المنهج

1 شاكر محمود حسين الأعظمي، (بحث نشر بمجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة، ضمن العدد 20 لسنة 2015م).

2 عبد الوهاب حمد عبد العزيز الشيخ حمد أستاذ التفسير في الجامعة العراقية، (بحث نشر في مجلة الدراسات التربوية والعلمية في عددها العاشر لسنة2017م).

الاستقرائي الاستنباطي. وبالرغم من دقة هذا البحث في وصف منهج الشيخ في معالم التدبر في القرآن الكريم، إلا أنه لم يتناول توجه الشيخ في إبراز الجوانب العلمية في القرآن الكريم وهو مما استغربه الباحث، ولذلك كان هذا هو الفارق بين البحثين.

الفجوة البحثية:

لقد تميزت هذه الدراسة عن سابقاتها أنها تناولت موضوعاً قد أكثر الشيخ رشيد الخطيب من ذكره في تفسيره ولم يتطرق إليه أحد من الباحثين ممن اعتنى بدراسة تفسير (أولى ما قيل)، وهو الجانب العلمي في تفسيره.

الفصل الأول: الشيخ رشيد الخطيب الموصلي ومفهوم التفسير العلمي

المبحث الأول: نبذة عن حياة الشيخ رشيد الخطيب الموصلي.

المطلب الأول: أسمه وأسرته ونشأته.

أولاً: اسمه ومولده ولقبة وكنيته.

هو الشيخ رشيد بن الشيخ صالح بن الحاج طه البزاز الخطيب بن الحاج صالح بن الحاج محمود بن الحاج مراد، الطائي نسباً، الموصلي مولداً وسكناً، وأما مولده، فقد ولد الشيخ رشيد الموصلي ليلة الجمعة من شهر جمادى الأولى سنة 1303هـ من هجرة المصطفى ﷺ الموافق لسنة 1886م [1].

ثانياً: أسرته.

نشأ الشيخ رشيد الخطيب الموصلي في أسرةِ علمٍ ودينٍ، من أبوين كريمين، فأبوه هو الشيخ صالح أفندي عالم جليل من علماء الموصل، وهو أحد طلاب الشيخ الكبير عبد الله أفندي العمري [2]، الذي انتهت إليه رئاسة العلماء في الموصل وكان يلقب برئيس علماء الموصل الحدباء، وقد أخذ الشيخ صالح أفندي جُلَّ إجازاته العلمية عنهُ ولم يجاوز حينها عقده الثالث، وقد اتخذ الشيخ صالح الخطيب من بيتهِ مدرسة يُدرس فيها العلوم الشرعية لطلابه وقد ضمَّنها مكتبةً عامرة تحوي أنواعاً من الكتب، وفي شتى العلوم بين مخطوط ومطبوع.

وللشيخ صالح أكثر من مؤلف، منها كتابٌ في المعاملات الفقهية جمع فيه عدداً كبيراً من المسائل المفيدة أسماهُ بالكشكول، وكتابٌ آخر ضم فيهِ كثيراً من بناتِ أفكاره في حل الألغاز والمشكلات [3].

وأما والدتهُ فهي المرأة الفاضلة بنت الشيخ محمد نوري العمري القادري الموصلي شيخ عصره، العلامة المفسر اللغوي [4].

---

1 ينظر: خالد محمد حماش: منهج العلامة الشيخ رشيد الخطيب الموصلي في تفسيره القرآن، ط1، دار أروقه للدراسات والنشر، عمان- الأردن، 2014م، ص13.

2 عالم فاضل من علماء الموصل، انتهت إليه رئاسة علماء الموصل، ولقبه السلطان عبد الحميد بلقب (باش عالم، وكان عالماً موسوعياً قد أجيز بشتى العلوم، ينظر: رسالة في مواضع مهمة: رشيد الخطيب الموصلي، ط1، مطبعة الجمهورية، الموصل- العراق، 1979م)، ص 67.

3 ينظر: عقيد خالد حمودي، البيان القرآني في تفسير أولى ما قيل لرشيد الخطيب الموصلي، (رسالة ماجستير، قسم علوم القرآن- كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد، د.ت)، ص 15.

4 ينظر: خالد حماش، منهج الشيخ رشيد الموصلي، ص 17.

وفي هذا الكنف الطيب والبيئة الصالحة نشأ الشيخ رشيد الخطيب الموصلي من بيتين عريقين عُرِفا بالعلم والديانة وهما عائلتا الخطيب والنوري [1].

وقد اكتسبت أسرته لقب الخطيب من جده الشيخ طه الخطيب، فقد كان خطيباً مفوهاً ذو لهجة خاصة في خطاباتهِ ميزتهُ عن أقرانهِ، وكان لها أثر عميق على جمهوره وسامعيه، حتى لقب بالخطيب، فصار هذا اللقب أحد سمات هذه العائلة وقد ترجم الشيخ رشيد الخطيب لجده طه، فكان مما قال في ترجمتهِ: (وكان رجلاً مهيباً وقوراً، وشهماً أنفاً وغيوراً، ذا مكانة في قومه) [2].

ثالثاً: نشأته.

نشأ شيخنا في هذا البيت العلمي، وهيأ الله له كَرم الغرس وطيب المنبت فكانت نشأته صالحة، وقد تحدث بذلك عن نفسه فقال: (كانت ولادتي سنة 1303هـ، وبعد أن درسنا القرآن دخلت الكُتّاب، فتعلمت القراءة والكتابة، ثم قرأت مبادئ العلوم على بعض علماء الموصل) [3].

وهكذا رضع شيخنا لِبان العلم منذ نعومة أظفاره فشب لا كما يشب الصبيان، بعيداً عن حياة اللعب واللهو، وذلك بفضل البيئة الأسرية الطيبة التي أوجدها له أبوه في أسرتهِ، رغم وفاته مبكراً حين كان عُمرهُ لا يتجاوز ثلاث سنوات، فكانت البيئة تلك خيرُ عوض ونعمَ البديل له عن والدهِ [4]؛ فعاش في هذه الأجواء، وترعرع في ظلِ ظروفٍ أثّرتْ على شخصيتهِ وأكسبتها نوعاً من الاستقلالية في الأفكار ومساحة لا بأس بها من المركزية في الفهم [5].

ومع أنه قد تأثر تأثراً كبيراً بالمحيط الذي عاش فيه، فكان يشعر بآلام أمتهِ ويعيش مآسي مجتمعهِ، فكان لذلك أثر كبير على طروحاتهِ وتوثيقاتهِ، فهو يطمح أن يرى بلدهُ بلداً مسلماً متميزاً آخذاً بالتطور والتجديد الذي لا يتعارض مع ثوابت الدين والأصول الإسلامية، ولذلك تجده في كتاباتهِ ومؤلفاتهِ يميل إلى الاجتهاد في المسائل الشرعية واستنباطها من مظانها الأصلية، كما أنه لم يرضَ عن الطرق السائدة في التعليم آنذاك، فكان يسعى إلى التجديد في أساليب التعليم إيماناً منه بأن

1 ينظر: عمر محمد طالب، موسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين، نشر على موقع الدكتور عمر طالب بتاريخ 30 يوليو2016م.

2 خالد حماش، منهج الشيخ رشيد الموصلي، ص 14.

3 ترجمة الشيخ بخط يدهِ وهو مخطوط ترجم فيه لنفسهِ وأبيه وجده يقع في عشر صفحات محفوظ عند بعض أحفاده في الموصل.

4 ينظر: خالد حماش، منهج الشيخ رشيد الموصلي، ص 18.

5 ينظر: محمود عبد مناجد: الإشارات العلمية عند الشيخ رشيد الخطيب في تفسيره أولى ما قيل، (رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية/ الجامعة العراقية، لسنة 2020م)، ص22.

الأساليب التقليدية في التعليم لا تدفع أمته إلى الرقي العلمي والاجتماعي الذي ينشده ويطمح في الوصول إليه [1].

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه.

اولاً: شيوخه.

نشأ الشيخ رشيد الخطيب الموصلي في بيتٍ معروف بحب العلم والمعرفة، فتعلم القراءة والكتابة ودرس القرآن الكريم ومبادئ العلوم على عدد من علماء الموصل، وأبرز شيوخ رشيد الخطيب الموصلي هم:

1- **الشيخ المربي محمد بن عثمان الرضواني الموصلي** [2]، الذي تتلمذ عليه في مدرسته الرضوانية [3]، وتخصص في العلوم الشرعية وأخذ منه الإجازة العلمية، وقرأ عليه علوم العربية، والمنطق، وعلم الكلام، وأصول الفقه، والحديث، والفرائض [4].

2- **الشيخ أمجد العمري**[5]، وهو من العلماء الذين أخذ العلم عنهم في نشأته أيضاً, درس عليه الحساب والجبر والهندسة والفلك، وقد كان لهذا التنوع المعرفي في تحصيل الشيخ رشيد الخطيب أثرهُ في النزعة التجديدية التي ظهرت على شخصيتهِ، الأمر الذي جعله فيما بعد من أشد المعجبين بآراء المصلحين أمثال جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وكان الشيخ شافعي المذهب إلى جانب إلمامه بالمذاهب الفقهية الأخرى، وعلم أصول الدين، والفلسفة، والمنطق [6].

---

1 ينظر: فرست مرعي إسماعيل: اليهودية في تفسير رشيد الخطيب الموصلي، (بحث منشور، مقدم الى كلية العلوم الإنسانية/ جامعة زاخو، نشر المجلة العربية للعلوم والأبحاث، العدد الثاني، 2018م)، ص 42.

2 الشيخ محمد بن عثمان الرضواني الموصلي، من أشهر علماء الموصل، وكان زاهداً كريماً متواضعاً كثير الإحسان ويتفقد الفقراء والمعوزين ودرس عليه الكثير من علماء الموصل كالشيخ عبد الله النعمة وعثمان الديوه جي وفائق الدبوني ورشيد الخطيب وغيرهم، توفي (رحمه الله بالموصل سنة 1938م، ينظر: أحمد محمد المختار: تاريخ علماء الموصل، ص14.

3 هي المدرسة التي أسسها الشيخ محمد أفندي الرضواني في بيته في محلة الشيخ محمد، وكان يدرس فيها أكثر من 60 طالباً من طلاب العلم وتحتوي اليوم على أكثر من أربعمائة مخطوط نفيس في علوم الشريعة، أسست سنة 1340هـ، ينظر: مقال بعنوان مسجد ومدرسة الشيخ الرضواني في الموصل، كتبه الباحث غانم محمد الحيو ونشر على موقع بيت الموصل على شبكة النت بتاريخ 9/ 9/ 2013م.

4 ينظر: عقيد خالد العزاوي: البيان القرآني في تفسير أولى ما قيل في آيات التنزيل، ص 15.

5 الشيخ أمجد بك العمري من علماء الموصل المتخصصين بعلم الفلك ومواقع النجوم، وعلم الحساب والجبر والهندسة، وكان ممن اعتنى بالشيخ رشيد الخطيب في أول شبابهِ، توفي سنة 1953م، ينظر: خالد حماش: منهج العلامة رشيد الخطيب، ص 20.

6 ينظر: فرست مرعي إسماعيل: اليهودية في تفسير رشيد الموصلي، ص 42.

3- **مجموعة من علماء الموصل** لم يسمهم في ترجمته ولكنه لمح لهم بقوله: (... فتعلمت القراءة والكتابة، ثم قرأت مبادئ العلوم على بعض علماء الموصل)[1].

ثالثاً: أشهر تلاميذه:

ترك الشيخ رشيد الخطيب ثلة طيبة من أهل العلم ممن تتلمذوا وتربوا على يديه، وكان من أشهر هؤلاء التلاميذ:

1- الشيخ إبراهيم النعمة رحمه الله، وهو من علماء الموصل المعروفين، المولود سنه (1942م).

2- الشيخ إسماعيل مصطفى الكتبي من علماء الفقه والتفسير في الموصل، المولود سنة1902م، والمتوفى سنة (1966م).

3- الشيخ صالح عارف البامرني، المولود سنة 1914م، والمتوفى سنة (1988م).

4- الشيخ ذو النون بن يوسف البدراني، وهو من أفاضل علماء الموصل، توفي سنة (1998م).

5- الشيخ شمس الدين عبد العزيز سيد حاتم، المولود سنة (1931م).

6- الشيخ يونس شيت ميرزا، درس على يد الشيخ التفسير والبلاغة، المولود سنة (1937م).

7- الشيخ ذو النون يونس الغزال، المولود سنة (1934م).

المطلب الثالث: حياته العلمية والعملية وشخصيته.

اولاً: حياته العلمية والعملية.

انخرط الشيخ في سلك التدريس، فكان يدرس في المدارس الثانوية، علوم الشريعة للمدارس الدينية بالإضافة إلى علوم اللغة العربية والأدب لطلاب الإعدادي، ثم اختار وظيفة التفتيش في وزارة المعارف، بالإضافة لكونه أحد أعضاء المجلس العلمي لدائرة الأوقاف بالموصل[2].

وكان من روافد ثقافتهِ المهمة حب الاطلاع، والقراءة المتواصلة والبحث عن كل جديد، مما حملهُ ذلك على نزعته نحو التجديد في أساليب التعليم، لشعوره أنْ تعاليم الإسلام قد بدا عليها شيء من الجمود والتقليد بسبب

1 ترجمة الشيخ بخط يدهِ وهو مخطوط ترجم فيه لنفسهِ وأبيه وجده يقع في عشر صفحات محفوظ عند بعض أحفاده في الموصل.

2 ينظر: خالد حماش: منهج الشيخ رشيد الخطيب، ص 24.

الفهم الخاطئ لها، مما جعل المسلمين ينحدرون نحو التخلف، على حين تَرفُلُ الكثير من الأمم بالمدنية والرقي العلمي والاجتماعي والسياسي، فكانت روحه تتوق للتجديد والاجتهاد، وقد أكسبه سعة اطلاعه وثقافته، ونشأته الصالحة، وشيوخه المرموقين وإقباله على العلم مبكراً وعقليتهُ النيرة ومداومته على البحث والتفسير ومتابعته لكل ما هو جديد ومفيد فكل هذه الأمور جعلت منه عقلية متنورة، وشخصية فذة، تركت عددً كبيراً من طلبة العلم، وإرثا عظيماً من المصنفات في العلوم الشرعية وغيرها.

ثانياً: شخصيته العلمية.

تأثر الشيخ رشيد الموصلي بمدرسة جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، واستفاد من أفكارهم الإصلاحية، والناظر إلى تراثه الكبير يجد أنه تأثر تأثراً كبيراً بالشيخ محمد عبده، حتى أنه كان يعد نفسه تلميذاً له، والقارئ يجد ذلك واضحاً في تفسيره (أولى ما قيل)، فهو كثيراً ما ينقل عنه ويسند إليه، كما صرح بذلك في بعض المواضع فقال: رحمه الله: (وإن الأستاذ محمد عبده هو ممن أفاض الله عليهم من تلك النعم، وفتح لهم باب الفهم، ومدارك الحكم، فهو رجل ملهم عظيم في تفسير آي الذكر الحكيم- إلى أن قال- وأدهشني ما كنت أراهُ له من التعليقات العلية والتحريرات الجلية، فغذيت بآرائه عقلي، وروضتُ بأفكاره فكري، وعدلتُ نظراتي بنظراته، ووجهتُ وعيّي إلى مسالك غدواته، وروحاته، وجعلتهُ أستاذي بتعاليمهِ، ومرجعي في مفاهيمهِ، وملاذي في حل المشكلات، ومناري في فهم غوامض المدركات) [1].

وممن تأثر بهم تأثراً كبيراً، شيخه محمد رشيد رضا، فقد نقل عنه في مواضع كثيرة من تفسيره، واعتمد عليه اعتماداً كبيراً فقال: (وكان جُلَّ اعتمادي على تفسير المنار في الأجزاء الاثني عشر التي فسرها، وكنت أختصر بعض كتابتهِ بتصرف أو بدون تصرف) [2].

ولقد كان للشيخ رشيد الخطيب الموصلي عظيم الأثر على النهضة العلمية في مدينته الموصل فقد اهتم بالعلم والشباب وكان ذلك على رأس أولويات دعوتهِ الإصلاحية، فكان يؤكد كثيراً أن التقدم الحضاري والازدهار لا يكونان إلا بطريق العلم والتعلم والاهتمام بالأجيال وخصوصاً الشباب، ومما قاله رحمه الله: (طريق التقدم والازدهار الحضاري لا يتم إلا عن طريق التعليم، وإن أردنا اللحاق بركب الحضارة السائرة إلى الإمام فعلينا بناء حياة تعتمد العلم أسلوباً لها في تقدمها، وتحرس هذا العلم بالمحافظةِ على تراثها الأصيل) [3]؛ ولذلك فقد أولى

1 ينظر: مجد أحمد مكي: مقدمة تفسير أولى ما قيل، (الأردن- عمان: دار أروقة للدراسات والنشر، ط4، 2201م)، ص43.

2 مقدمة تفسير أولى ما قيل، ص35.

3 مقدمة تفسير أولى ما قيل، ص21.

عناية فائقة بتعليم الشباب، وركز جهوده في حثهم على تحصيل العلوم فكان ينادي دوماً ويقول: (أنتم شباب اليوم رجال الغد، خلقتم لتعلموا وتعملوا) [1].

وكان رحمه الله يقول: "لا رمزية لقوم إلا بحسن الأعمال، فقيمة كل أمرئ بما يحسن" [2]، وليس للإنسان إلا ما سعى، وليس أخو علم كمن هو جاهل؛ بالعلم يتميز الإنسان عن الحيوان، وبالعلم يفتخر عن بني نوعه، وأشقى الناس في هذه الدنيا الأمم الجاهلة، ليس لها شيء من المزايا، بل هي بمعزل عن الحياة، وبعيدة عن الإنسانية" [3].

وكان رحمه الله واعياً منفتحاً يدعو إلى الاستفادة من المدنيَّة الغربية، مع المحافظةِ على القيم والثوابت الإسلامية بما لا يتعارض والعقيدة الإسلامية.

فقد كان رحمه الله يسعى في محاولة منهُ إلى الربط والتوفيق بين الحضارة المادية الغربية متمثلة بالعلم التجريبي وأصالة الإسلام، فهو يطوع العلوم التجريبية المعاصرة التي سبقنا بها الغرب خدمة للدين وبيان أحقية الإسلام من خلال إثبات صدقه وأنه من عند الله بالحقائق العلمية، فهو يجمع بين الأصالة والمعاصرة، وهذا ما نراه واضحاً جلياً في تفسيره (أولى ما قيل)، فقد ضمنه مواضع كثيرة يظهر فيها التفسير العلمي في فهم الكثير من آيات الوحي، وهذا الذي حملني على إبراز هذا الجانب في هذا الرسالة.

فكان رحمه الله يتألم للحال الذي يرى فيه أجيال الأمة وما هم فيه من جهل بالعلم وبُعدٍ عن الدين، فنراه في أكثر من مناسبة يتوجه فيها مخاطباً شباب الأمة فيقول: "مرّ علينا زمان ونحن في سبات نتقلب في مهاوي الجهالات والأحلام" [4].

ثم يُلْفِتُ الأنظار إلى العلاج المناسب الذي يراه المخرج لما تعيشه الأمة من الالآم فيقول: "الراحة بالعلم، والمكانة بالعلم، والشجاعة بالعلم، والرياسة بالعلم، والعزةُ بالعلم، والحياة بالعلم والسؤدد بالعلم، ثم يكمل قائلاً: هل رأيتم أمةً سادت بالجهل؟! هل رأيتم أمةً نالت مقعدها بالجهل؟!" [1].

---

1 مجد أحمد مكي: مقدمة تفسير أولى ما قيل، ص 22.

2 هذا أثر منسوب للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد ذكرها شعراً في ديوانه قائلاً:

وقيمة المرء ما كان يحسنهُ **** والجاهلون لأهل العلم اعداءُ

فقم بعلمٍ ولا تطلب به بدلاً **** الناسُ موتى وأهل العلم أحياء.

ينظر: ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه): جمع وترتيب عبد العزيز الكرم، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 2009م)، ص7 قافية الهاء.

3ينظر: مقدمة تفسير أولى ما قيل: ص21.

4 ينظر: مجد أحمد مكي: مقدمة تفسير أولى ما قيل، ص 23.

وكان الشيخ رشيد الخطيب الموصلي متضلعاً في العلوم الشرعية، ومطلعاً على علوم الفيزياء والفلك[2]، خبيراً بأنظمة الحكم والسياسة، فكان بحق موسوعة معرفية وعلمية، استطاعت هذه المعارف أنْ تجعل منه رجل الإصلاح وأحد المجددين الذين ينبذون التعصب والتقليد ويسعى لبناء جيل متعلم يؤمن بالمدنية الحديثة، ويحافظ على أصالة دينه وثوابته[3].

وقد عالج الشيخ رشيد الموصلي الكثير من مشكلات مجتمعهِ، وكان قريباً منهم يحمل همومهم ويعيش آلامهم ويسعى لتحقيق تطلعاتهم، مع ذلك كله لم ينشغل عن هَمِّ الأمة الأكبر وقضاياها الجسام، فقد كان حاضراً مؤثراً وصوتاَ لم تسكتهُ غطرسة المحتل، ولا قوةُ سطوتهِ من أنْ يقول كلمته أو أن يوجه وينصح، ولعل ما يبرز هذه الصورة وقوفهُ خطيباً في أحدى تظاهرات الموصل ضد الاحتلال البريطاني، فانتقد سياسة الاحتلال ودعا إلى مقاومته ومقارعة المحتل، ثم حث الناس في خطبة طويلة تجاوزت الثلاث ساعات، وهو يبين للناس أن طريق مقاومة المحتل وإخراجه يجب أن تكون بنفس السلاح الذي يحاربوننا به وهو العلم، فإن عدونا إنما تغلب علينا بامتلاكه ناصية العلم، وإن العقل العربي المسلم لا يقل إبداعاً عن مثيله الأوربي الذي آلت إليه السيادة بما حازهُ من العلوم والمعارف[4].

كان الشيخ رحمه الله يؤمن إيماناً جازماً أن في العالم العربي والمحيط الذي يعيش فيه متمثلا بالعالم العربي من الذكاء المفرط وقوة الفكر وسلامة العقل والإدراك ما لا يدركُ وصفه، فالشيخ رحمه الله يدعو إلى استثمار هذه العقول والنهوض بالأمه العربية المسلمة، والاستفادة من خبرات الأمم الأخرى فيدعو إلى تجديد الفكر والعقل، والإمساك بدفة القيادة والسعي في الإصلاح، والدعوة إلى الاستيقاظ من هذا السبات الطويل، ولعلك تستشعر مرارة الألم الذي يعتصرهُ وأنت تسمع كلماته وهو ينادي الأمة العظيمة أن تنهض من رقدتها، فيقول: "فيا أبناء الشرق أما آن لكم أن تنهضوا، أما آن لكم أن تقتفوا أثر الغربيين في علومهم النافعة، بعد أن كانوا يقتفون أثرنا نحن السابقون، وكانوا لآثارنا يقتفون"[5].

فهو يذِّكر المسلمين بعريق مجدهم وماضيهم التليد وما كانوا عليه، ويبين لهم أن الإسلام أكبر حدث غيّرَ مجرى التاريخ والعالم الإنساني، وأن الرسول الأكرم محمدﷺ هو أعظم رجل عرفتهُ البشرية الذي غير وجه العالم

---

1 ينظر: مجد أحمد مكي: مقدمة تفسير أولى ما قيل، ص 23.

2 فقد عنى بعلم الفلك في مطلع شبابه ولازم الشيخ أمجد العمري حتى صار خبيراً لمطالع النجوم ومواقعها، ينظر: مجد أحمد مكي: مقدمة التفسير، ص38-48.

3 ينظر: خالد حماش: منهج الشيخ رشيد الخطيب في تفسيره، ص 32.

4 ينظر: مجد أحمد مكي: مقدمة تفسير أولى ما قيل، ص 26.

5 ينظر: مجد أحمد مكي: مقدمة تفسير أولى ما قيل، ص 29.

وأصلح البشرية بالمنهج الحق في سنوات قليلة لم تتجاوز عقدين من الزمان، وأن الأمة متى ما تمسكت بهذا المنهج النبوي مع الاستفادة من علوم الآخرين وتجاربهم، فإن العز سيكون حليفها بإذن الله [1].

وهكذا كان الشيخ رشيد الخطيب الموصلي محباً لدينهِ وعروبتهِ ومعتزاً ببلده وبلدتهِ الأمر الذي جعله أحد رواد النهضة والإصلاح في تلك الحقبة، وحمل على عاتقه أعباء هذهِ المهمة العظيمة في التوجيه والإرشاد، والدعوة نحو التجديد والإصلاح، فرحمه الله رحمة واسعة.

المبحث الثاني: الشيخ رشيد الخطيب عقيدته ومذهبه والثناء عليه وفاته وآثاره ونبذه عن تفسيره.

المطلب الأول: عقيدته ومذهبه وثناء العلماء عليه.

اولاً: عقيدته ومذهبه.

كان الشيخ رشيد الخطيب علماً من أعلام السنة في الموصل خاصة، والعراق عامة، وكان يأخذ بمذهب أهل السنة والجماعة في العقيدة، خاصة في باب الأسماء والصفات، وكان يتمذهب في الفقه بمذهب الإمام الشافعي رحمه الله. ولكنه لم يكن متعصباً لمذهب أو مدرسة بعينها، بل كان يعامل المذاهب والمدارس والآراء بميزان الشرع[2].

وكانت صفات السماحة والاعتدال والوسطية، والنقد العلمي المنهجي من أبرز صفات الشيخ رشيد الخطيب رحمه الله، في تعامله مع الآراء التي تخالف رأيه؛ وبفضل هذه النظرة السمحة، والعقلية الواسعة التفَّ حوله الناس من أهل السنة والجماعة وطلبة العلم، ولم يزعم لنفسه بلوغ درجة الاجتهاد فيأخذ من أي مذهب شاء [3].

ثانياً: ثناء العلماء عليه[4].

---

1 ينظر: محمود عبد مناجد: الإشارات العلمية عند الشيخ رشيد الخطيب، ص 29.

2 ينظر: خالد حماش, منهج الشيخ رشيد الخطيب, ص 30-31.

3 ينظر: خالد حماش, منهج الشيخ رشيد الخطيب, ص 35.

4 كلمة الشيخ ابراهيم النعمة ضمن فعاليات مؤتمر أربيل بعنوان: (مؤتمر الاعتدال والوسطية لدى علماء الموصل: الشيخ رشيد الخطيب أنموذجاً) بتاريخ 9-2015/12/10, رابط:

https://www.odabasham.net/%D9%82%D8%B6%D8%A7%D9%8A%D8%A7/82684-

اثنا عليه مجموعه من العلماء والمشايخ ومنهم تلميذه الشيخ إبراهيم النعمة ضمن المؤتمر المقام في مدينة اربيل بتاريخ 9-2015/12/10 بعنوان(مؤتمر الاعتدال والوسطية لدى علماء الموصل: الشيخ رشيد الخطيب أنموذجاً)؛ إذ قال الشيخ ابراهيم النعمة في ذكره: "أما عن وسطية شيخنا الخطيب ، فلست أدري من أين أبدأ الحديث عنها ، بعد أن مضى ما يقرب من خمسين سنة من دراستي عليه .! إذا أردنا أن نعلم شيئاً عن عبقرية شيخنا الخطيب ، فلابدّ أن نلقي نظرة عامة على البيئة العلمية التي عايشها شيخنا رحمه الله .! لقد كان شيخنا الخطيب منفتحاً على العلوم الإسلامية بأساليبها الحديثة ، يتطلع إلى أي علم كان من العلوم المفيدة التي تقرب المادة العلمية إلى ذهن الطالب ، فيعمل على الإفادة منه .

وهكذا يعد الشيخ من المجددين في عصره ، كان يغرس في نفوس طلبته حب الاحتكام إلى العقل في كثير من القضايا التي تعرض له ، وكان يقول لتلاميذه في الدرس: لا تسلموا لي بكل ما أقول لكم ، فإن كان لكم رأي آخر في أية مسألة كانت فاذكروه ؛ لعله يكون أقرب إلى الصواب من قولي ، فأرجع عن قولي.

أما في فتاويه ، فكان منفتحاً على عصره كذلك ، فلا يجمد على أقوال من عاشوا في عصور تختلف عن العصر الذي عاش فيه، ولا في بيئة تختلف عن البيئة التي عاش فيها ، وهذا هو مذهب علية العلماء من الفقهاء والأصوليين ، ونرى صورة الانفتاح على المذاهب وعدم الجمود على أقوال من تقدمه واضحة في كثير من الأمور . وبخاصة في اختياره الفقهي . فقد كان رحمه الله شافعي المذهب ، لكنه لم يتعصب للشافعية ، فإذا تبين له في مسألة من المسائل أن رأي الحنفية أو المالكية أو الحنابلة أرجح من رأي الشافعية قال به بعد أن يُشفع تلك المسألة دراسة وتمحيصاً وتدقيقاً .

ومن وسطية الشيخ : أن كثيراً من طلبة العلم . وحتى العلماء . كانوا يرددون على مدرسته في بيته ؛ ليزدادوا من منهل علمه الفياض ، ومورده الزلال ، فيجلسوا بين يديه فيلقي إليهم بالمنهج المعتدل في كل علم يقوم بتدريسه.

المطلب الثاني: وفاته وآثاره العلمية.

أولاً: وفاتهُ [1].

في عصر يوم 1979/11/19م أجاب الشيخ رشيد الخطيب نداء ربه بعد عمرٍ طويل حافل بالعلم والتعليم والبحث والتأليف، وكان يوم وفاته يوماً حافلاً كبرت الجوامع لوفاته واجتمع أهل الموصل لتشييعه ومواراة جثمانه، وبكته المحاريب وحلق العلم، وفي اليوم الآتي أشادت به منابر الجمعة وتكلم خطباء الموصل فذكروا شيئاً من سيرته وفضائله [2].

ثانياً: آثاره العلمية [3].

ترك الشيخ رشيد الخطيب عدداً من المؤلفات المتنوعة في التفسير والحديث واللغة والأدب والفقه وأصول الدين والكلام، وإن معظم هذه المؤلفات لا زال مخطوطا لم يطبع بعد، ويمكن إجمالها فيما يأتي:

أولاً: مؤلفات في العقائد والكلام:

1- بحث في الممكن والموجود، مخطوط.

2- رسالة في آداب البحث والمناظرة، مخطوط.

3- بحث في التصوف، مخطوط.

4- رسالة فرائد القلائد، مخطوط.

5- رسالة في علم العقائد، مطبوع سنة (1965م).

ثانياً: مؤلفات في التفسير:

---

1 المصدر نفسه، ص 47.

2 ينظر: قصي آل فرج: صفحات من حياة رشيد أفندي الخطيب، مقال نشر ضمن الندوة التي أعدت للشيخ بعنوان: (الشيخ رشيد الخطيب ودوره الاصلاحي في الموصل، ص41.

3 ينظر: خالد حماش: منهج الشيخ رشيد الخطيب، ص 26.

1- تفسير القرآن الكريم المسمى (أولى ما قيل في آيات التنزيل)، مطبوع سنة (1971م)، طبع في مطبعه جامعة الموصل الطبعة الأولى سنة 1971م، في تسع مجلدات ومقدمة مستقلة تكلم فيها المؤلف عن خصائص القرآن وأساليبه وتراكيبه، وهي كثيرة الأخطاء المطبعية والفنية.

2- تفسير آيات من سورة الأنفال والإسراء، مخطوط.

3- تفسير سورة الحجرات، مطبوع سنة (1939م).

4- تفسير من سورة البقرة، مخطوط.

5-تفسير سورة الصف والأحزاب ولقمان وعدد من السور، مخطوط.

ثالثاً: مؤلفاته في الحديث:

1- مختارات الصحاح، وهي نخبة من الأحاديث المختارة من كتب السنة موزعة على الأبواب الفقهية،ويقع في جزئين، الأول في(207) صفحات، والثاني في (306) صفحات. وهو مخطوط ومحفوظ عند السيد أثيل النجفي.

2- المنتخب من الأحاديث النبوية، وهو مخطوط في(108)صفحات، محفوظ عند السيد أثيل النجفي.

رابعاً: مؤلفاته في البلاغة:

1-رسالة في معاني الحروف وقيام بعضها مقام بعض وهي(76)صفحة صغيرة محفوظة لدى السيد أثيل النجيفي.

2-بحث في البلاغة، مخطوط.

3- حسن الصنيع في البديع، مخطوط.

4- مختصر البلاغة، مخطوط.

5- المنتقى في البلاغة، مخطوط.

خامساً: مؤلفات في الفقه وأصوله والحديث:

1- تعليقات على كتاب الرسالة الشافعي، مخطوط.

2- رسالة في أصول الفقه، مطبوع سنة (1980م).

3- رسالة في الخراج، مخطوط.

4- مختصر في علم الفرائض، مخطوط.

5- متعة الكلام لمن قصد البيت الحرام، مخطوط.

6-مقالات حول الزكاة والنكاح والطلاق والعدة ومحرمات النساء، مخطوط.

سادساً: مؤلفاته في العربية الأدب:

1- ما لا يستغني عنه التلميذ والكاتب والأديب من ألفاظ اللغة وخصائص التركيب، مخطوط.

2- أبسط الترتيب في تراجم الأدباء، مخطوط.

3- أسنى الأرب في تاريخ الأدب، مخطوط.

4- أوضح المناهج في تاريخ الأدب لسائر عصور العرب، مخطوط.

5- تذكرة الأدباء، مخطوط.

6- حقيبة الأديب، مخطوط.

7- شرح قصيدة بانت سعاد، مخطوط.

8- عمدة الأريب ومرجع الأديب، مخطوط.

9- رسالة في العروض، مخطوط.

10- مجموعة الخطب المنبرية، مخطوط.

سابعاً: مؤلفات في التربية والتعليم:

- إرشادات هامة للمعلم والتلميذ، مخطوط.

ثامناً: مؤلفاته في القصص والأخبار والمواعظ:

1- رسالة في الأخلاق والسيرة، مخطوط.

2- صيدي من صيد الخاطر في المواعظ، مخطوط.

3- نبذة لحوادث وقصص تاريخية، مخطوط.

تاسعاً: مؤلفات متفرقة:

1- مبادئ علم الهيئة، مخطوط..... وغيرها من المؤلفات والرسائل الصغيرة.

المطلب الثالث: نبذة عن تفسير (أولى ما قيل في آيات التنزيل).

يُعد تفسير الشيخ الذي سماه (أولى ما قيل في آيات التنزيل) من أهم وأوسع ما ألفه الشيخ رحمه الله، وقد اعتنى به عنايةً فائقةً، فراجعه في حياته خمس مرات، يهذبه وينقحه ويعتني به وكان في كل مرة يُدخل عليه بعض الزيادات ويصلح بعض العبارات حتى خرج بهذه الحُلّة القشيبة [1].

وقد حرص الشيخ رشيد الخطيب رحمه الله في اختيار المعاني المناسبة للآيات، وهذا ما يشير إليه الاسم الذي اختاره لتفسيره، فقد انتقى معانيه من أمهات التفاسير، ثم ضمّنه بعض الآراء المعاصرة التي ظهرت فيها بصمات الشيخين محمد عبده، ومحمد رشيد رضا واضحة، فكثيراً ما كان يستشهد بآرائهم وينقل عنهم ويعتمد في الغالب ما اختاروه وينتصر لهما، وهذا واضح جلي يلمسه كل من قلب تفسير الشيخ رحمه الله.

ولم يُخل الشيخ تفسيره من بعض الاستنباطات التي استنبطها هو بفهمه واجتهاده، وقد صرح بذلك في خاتمة تفسيره قائلاً: "وقد بذلت الجهد فيها واعتمدتُ فيه من انتقاء أحسن ما قيل في آيات التنزيل، وذلك عدى ما استنبطته بفهمي الخاص لبعض الآيات، واستلهمته منها من المعاني التي لم يسبقني إليها أحد، وإنما رأيت النظم يساعد على ذلك المعنى بحسب مفاهيم اللغة، وعرف التخاطب، وسياق الكلام على نهج القرآن" [2].

1 القشيب: الجديد أو النظيف. ينظر: الفيروز آبادي: القاموس المحيط، 1/ 738. والمعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين،2/ 735.

2 ينظر: تفسير أولى ما قيل، 489/7.

وقد تميز هذا التفسير بمقدمة مهمة تكلم فيها الشيخ عن خصائص القرآن، وبين أساليبه، وتراكيبه، وأغراضه، ومقاصده، وحذفه، وإيجازه، وبلاغته، وإعجازه، والجمع بين المعاني المتنوعة، والأغراض المتعددة إلى غير ذلك من الخصائص التي انفرد بها وأبدع.

ومن مزايا هذا التفسير تفرده بذكر المناسبات بين الآيات كما وضحه في مقدمته فقال: "وأني قد التزمت فيه ما لم يلتزمه غيري من المفسرين، وهو بيان وجوه المناسبات بين جميع الآيات بقدر الإمكان، وذلك من جملة المهم في هذا التفسير من البيان" [1].

وقد تكلم الشيخ الخطيب عن منهجه في التفسير، وبيّن بعض مزايا تفسيره، بعد أن أبان أنه آثر الإيجاز والاقتصار على أصح الأقوال، فقال: "وإن كثيراً من الآيات يتداعى إليَّ من التعمق والتفكير فيها معانٍ لا تحصى، وأغراض لا تستقصى بأنواع الدلالات من الإشارة والإيماء والفحوى والاقتضاء، ولكن أرى نفسي عاجزاً وضعيفاً كل الضعف تجاه تصوير ذلك المعنى الدقيق وبيانه، فآخذ منه قبساً وأتركه عجزاً، وأنَّى لعناكب الأفهام والأوهام أن تعرج إلى حمى ذي الجلال والإكرام، وقد أترك ذلك أحياناً؛ لأنه يجر إلى الإسهاب والتطويل، إذ هو مخالف لما التزمته من الاختصار في هذا التفسير، وكثيراً ما أتذوق بلاغةً عاليةً في المبنى والتركيب، وبداعةً ساميةً في النظم والترتيب، ولكن لا أملك الإبانة عما أشعر به أو أفهمه إجمالاً، لعلو المنال، وعجز الكلام والتعبير من دقة تصوير ما يصوغه الكبير المتعال" [2].

وبيَّن الشيخ الخطيب عن مدى تأثره بتفسير الشيخ محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا في تفسيره المنار، وقد أكثر من النقل عنهما، ونحا منحاهما متابعا لهما في كثير من الأقوال والتأويلات.

ثم قال رحمه الله: " وكنت اختصر بعض كتابته بتصرف أو بدون تصرف؛ أما فيما عدا هذه الأجزاء، فكان اعتمادي على استنباط المعنى من القرآن العظيم واستلهامي إياه بنفسي مستعيناً بالله الذي علَّم الإنسان ما لم يعلم، مراعياً في ذلك مفاهيم اللغة وعرف التخاطب" [3].

وقال بعد أن ذكر أن جلَّ اعتماده وأكثر انتفاعه من الشيخين محمد عبده ورشيد رضا رحمهما الله: "هذا ما كتبت عليه تفسيري أولاً ثم لا زلت أراجعه وأدرَّسه وأهذَّبه وأنقَّحه طيلة حياتي ــ والحمد لله ــ فكان لي من

1 ينظر: مقدمة التفسير أولى ما قيل، ص34.

2 ينظر: مقدمة التفسير أولى ما قيل، ص34.

3 المصدر نفسه، ص35.

ذلك ملكة ومِران؛ على تدبُّر القرآن، وتفهُّم معانيه، وإدراك المناسبات بين الآيات، أصبح تفسيري آخراً غير تفسيري أولاً، بما أجريت عليه من تهذيب وإصلاح؛ لأنَّ القرآن العظيم كلما زدته تدبراً وإمعاناً زادك منه علماً وتبياناً وفهماً واتقاناً" [1].

وكان الانتهاء منه كما دونه مسطره قائلاً: "وقد وافق تمامه يوم الخميس المصادف لليوم التاسع عشر من شهر ربيع الثاني لسنة ألف وثلاث مئة وخمس وستين هجرية قمرية، الموافق لليوم الواحد والعشرين من شهر أذار لسنة ألف وتسع مئة وست وأربعين ميلادية" [2].

المبحث الثالث: مفهوم التفسير العلمي وأهميته في علم التفسير

في هذا المبحث سيتم تناول مفهوم التفسير العلمي وأهمية ذلك في علم التفسير عموما وفي تفسير الشيخ رشيد خاصة، وذلك كما يأتي:

المطلب الأول: تعريف التفسير العلمي وبيان مفهومه.

أولاً: تعريف التفسير العلمي لغةً واصطلاحاً.

التفسير العلمي هو اصطلاح مركب من كلمتين، فإذا أردنا أن نعرفه لغة، فينبغي الفصل بين مفرديه.

التفسير لغة: الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحِه. من ذلك الفَسْرُ، يقال: فَسَرْتُ الشَّيءَ وفسَّرتُه [3].

ويقال استفسره عَن كَذَا: سَأَلَهُ أَن يفسره لَهُ. والتفسرة: الشَّرْح وَالْبَيَان. والتَّفْسِير: الشَّرْح وَالْبَيَان، وَتَفْسِير القرآن: من الْعُلُوم الإسلامية يقْصد مِنْهُ توضيح مَعَاني القرآن الْكَرِيم وَمَا انطوت عَلَيْهِ آيَاته من عقائد وأسرار وَحكم وَأَحْكَام [4].

---

1 ينظر: مقدمة التفسير أولى ما قيل، ص35.

2 المصدر نفسه، ص31.

3 ينظر: أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زَكَرِيّا: معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السَّلام محمد هَارُون، (بيروت-اتحاد الكتاب العرب، د ظ، 2002م)، 402/4.

4 ينظر: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إستانبول- دار الدعوة، د.ظ، د.ت)، 2/ 688.

العلمي لغة: العلم: العين واللام والميم أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على أثَرٍ بالشيء يتميَّزُ به عن غيره [1]؛ وعلمت الشيء أعلمه عِلْماً: عرفته. وعالَمْتُ الرجل فعَلَمْتُهُ أعْلُمُهُ بالضم: غلبته بالعِلمِ [2].

تعريف التفسير العلمي اصطلاحاً: اختلفت عبارات أهل العلم في تعريفهم للتفسير العلمي، على أقوال نختار منها نموذجين اثنين:

عرفه بعضهم بأنه: محاولات الكشف عن معاني الآيات القرآنية في ضوء ما ترجّحت صحتهُ من نظريات العلوم الكونية [3].

وعرفه آخرون بأنه: اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي، على وجه يظهر به إعجاز للقرآن، يدل على مصدره، وصلاحيته لكل زمان ومكان [4].

ثانياً: مفهوم التفسير العلمي.

عند النظر في التعريفات المتقدمة آنفاً للتفسير العلمي، يمكن القول بأن مفهوم التفسير العلمي يشتمل على تفسير الآيات الكونية الواردة في القرآن على ضوء معطيات العلم الحديث، بغض النظر عن صوابه وخطئه [5]؛ فيشمل التفسير على الوجه الصحيح والخاطئ؛ لأنه اجتهاد، والاجتهاد قابل للصواب والخطأ.

ولا شك أن وصفه بـ (اجتهاد المفسر) يدخل فيه التفسير العلمي المقبول والمرفوض؛ لأن المجتهد قد يخطئ وقد يصيب.

وقوله: "العلم التجريبي" يُخرج بقية العلوم الكلامية والفلسفية ونحوها، وقوله: "على وجه" لبيان ثمرته، وقوله: "يدل على مصدره" نقصد به أنه إذا ما ثبت هذا التوافق بين نصوص القرآن الكريم وحقائق العلوم، ولم يقع أيُّ تعارض بين نص قرآني وحقيقة علمية –مهما كانت جدتها وحداثتها– فإنه لا يمكن أن يقول مثل هذه النصوص بشر قبل اكتشافها بقرون، ولا بُدَّ من أن يكون المتكلم بها هو موجِدُ هذه الحقائق ومكونها؛ وهو الله سبحانه

---

1 ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 88/4. =

2 ينظر: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1987م)، 1990/5.

3 ينظر: عبد الله بن عبد العزيز المصلح وآخرون: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، (المملكة العربية السعودية– الرياض، دار جياد، ط1، 2008م)، ص 30.

4 فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، (طبعة رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية، ط1، 1986م)، 545/2.

5 عبد الله بن عبد الله الأهدل: التفسير العلمي للقرآن الكريم، (رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة أم القرى، قسم القران الكريم وعلومه)، ص15.

وتعالى، وقولنا: "وصلاحيته لكل زمان ومكان" نقصد به أنه صالح لكل عصر، لا تأتي عليه الأيام ولا الحدثان بما يبطل شيئًا منه، فهو صالح لكل عصر وأوان [1].

ثالثاً: حجية التفسير العلمي.

عند النظر والبحث في مفهوم التفسير العلمي يظهر لنا أن العلماء منقسمون إلى فريقين من حيث قبول التفسير العلمي أو رفضه، وبهذا يظهر لنا اتجاهان مختلفان في التعبير عن معاني التفسير العلمي، فالذين يعارضون هذا التفسير فيعبرون عنه بأنه إخضاعٌ لعبارات القرآن الكريم وفقاً للنظريات والاصطلاحات العلمية الحادثة [2]؛ ومن أمثال الذين يعارضون هذا المفهوم من التفسير هو الامام الزرقاني لأنه يعتبر عد العلوم الكونية من موضوعات علوم القرآن ومعارفه خطأ فادح، حيث قال: (ولكن بعض الباحثين طاب لهم أن يتوسعوا في علوم القرآن ومعارفه ، فنظموا في سلكها ما بدا لهم في علوم الكون، وهم في ذلك مخطئون ومسرفون)[3].

وعند إمعان النظر في تعريف المعارضين للتفسير العلمي نجد أنهم اعتبروه إخضاعاً لعبارات القرآن لآراء ونظريات علمية، وهذا القول فيه تحامل نوعاً ما؛ لأن القائلين بالتفسير العلمي والمؤيدين له لا يخضعون عبارات القرآن الكريم للنظريات، التي لا تزال قيد الدراسة والبحث، وإنما ينصب ويتوجه مجال البحث عندهم في الحقائق العلمية التي لا شك في ثبوتها وصحتها فهي مجال النظر والبحث عند القائلين به، فيكرسون جهودهم في التوفيق بينها وبين الآيات القرآنية بهدف إظهار ما في الآيات من إعجاز علمي [4].

إذ نقل عن فخر الدين الرازي في تفسير قوله تعالى:﴿**فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى**﴾[الأعلى: 5], قال: " (فجعله غثاء أحوى) وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: الغثاء ما يبس من النبت فحملته الأودية والمياه وألوت به الرياح، وقال قطرب واحد الغثاء غثاءة.

1 ينظر: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، 546/2.

2 ينظر: عبد المجيد عبد السلام المحتسب: اتجاهات التفسير في العصر الراهن، (الأردن- عمان: دار ومكتبة النهضة الإسلامية، ط3، 1982م)، ص278.

3 الامام الزرقاني, محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: 1367هـ): مناهل العرفان في علوم القرآن, ط3, مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه, د.ت. 354/2.

4 ينظر: عبد السلام حمدان اللوح: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص 113.

المسألة الثانية: الحوة السواد، وقال بعضهم: الأحوى هو الذي يضرب إلى السواد إذا أصابته رطوبة، وفي أحوى قولان: أحدهما: أنه نعت الغثاء أي صار بعد الخضرة يابسا فتغير إلى السواد، وسبب ذلك السواد أمور أحدها: أن العشب إنما يجف عند استيلاء البرد على الهواء، ومن شأن البرودة أنها تبيض الرطب وتسود اليابس وثانيها: أن يحملها السيل فيلصق بها أجزاء كدرة فتسود وثالثها: أن يحملها الريح فتلصق بها الغبار الكثير فتسود, والقول الثاني: وهو اختيار الفراء وأبي عبيدة، وهو أن يكون الأحوى هو الأسود لشدة خضرته، كما قيل: (مدهامتان) [الرحمن: 64] أي سوداوان لشدة خضرتهما، والتقدير الذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء، كقوله: (ولم يجعل له عوجاً قيماً) [الكهف: 1، 2] أي أنزل قيما ولم يجعل له عوجاً" [1].

فالتفسير العلمي هو منهج من مناهج تفسير القرآن الكريم، أو اتجاه من اتجاهاتهِ، وهو يبحث في جزء من العلوم الإسلامية ويراد به بيان سعة دلالة ألفاظ القرآن واحتوائها لشتى المعارف المستجدة لكل الأجيال إلى يوم القيامة [2].

ومن طريق ما تقدم فيمكننا القول بأن موضوع دراستنا في بحثنا هذا سيتناول منهج الشيخ رشيد الخطيب في تناولهِ لبعض الآيات القرآنية التي فسرها تفسيراً علمياً على وفق ما تم اكتشافهُ من علومٍ وحقائقَ كونيةٍ أثبتها العلم المعاصر، وقد عبرنا عنها بالتفسير العلمي لا الإعجاز العلمي [3]، من باب التوخي والحذر، حتى لا نتعامل معها كمسلّمات وحقائق علمية لا تقبل النقاش، وخصوصاً أن كثيراً من النظريات العلمية قد تتغير أو يطرأ عليها بعض التعديل وحتى لا نقحم أنفسنا في أمر قد يتسبب في إخضاع بعض الآيات لمفاهيم لم تستقر بعد بل ما تزال من قبيل النظرية ويكشف العلمُ خطئها، فكم من النظريات العلمية التي كانت بحكم المسلمات، وقد اعتراها التغير بعد فترة من الزمن، وتبين أنها كانت مجرد ظن وتخمين [4].

وعلى هذا فسيكون ميدان البحث والعمل في هذه الرسالة المواضع التي فسرها الشيخ تفسيراً علمياً، في محاولة للتوفيق بينها وبين الحقائق العلمية الثابتة في كتب الإعجاز العلمي قدر الاستطاعة.

---

1 فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب, 31/129-130.

2 ينظر: مرهف عبد الجبار سقا: التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، تحقيق نور الدين عنتر وآخرون، (سوريا- دمشق: دار محمد الأمين، ط1، 2010م)، ص 73.

3 سيأتينا في المبحث الثالث الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.

4 ينظر: عبد السلام حمدان اللوح: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص 111.

المطلب الثاني: أهمية التفسير العلمي.

لقد حث القرآن الكريم على النظر في الكون والتأمل في آياته ومخلوقاته ونظامهِ، والتفقه في كتابهِ المنظور، وهو الكون الفسيح الذي نشاهدهُ أينما وجهنا أبصارنا [1].

فقد أشار القرآن الكريم في آيات كثيرة منهُ إلى مسائلَ في الكون والوجود، وذكر جانباً من الحقائق العلمية التي عملت على الربط بين العلم والدين، وذكر مسائل هي من صميم العلم، أراد من خلالها تنبيه الأذهان وإعمال العقول إلى أهمية البحث وإعمال النظر والفكر [2].

والعلم الحديث يكشف لنا في كل يوم، جديداً في فرضيات العلم وحقائق المعرفة التي تبرهن صدق القرآن الكريم، وأنه وحيٌ من عند الله تعالى، ولقد أثبت العلم الحديث بما لا يدع مجالاً للشك، في وحدانية موجد هذا النظام البديع وفاطرهُ، فالمؤمن اليوم يجب أن تتسع دائرة فكره ومفاهيمه عن الكون والحياة وقدرة الخالق، ومن هنا ظهرت أهمية التفسير العلمي في إثبات أحقية هذا الدين ومعجزة القرآن الخالدة، وأنه لا تعارض بين الآيات القرآنية والمعطيات العلمية، فإن القرآن الكريم يدعونا دعوةً صريحة للسير في الأرض والكشف عن الدلائل من الآيات التي يستدل بها على منشأ الكون وبداية الخلق، قال تعالى: ﴿**قُلِ سِيرُواْ فِي ٱلأَرضِ فَٱنظُرُواْ كَيفَ بَدَأَ ٱلخَلقَ**﴾ [العنكبوت: 20].

ولقد وعدنا الله سبحانه وتعالى بأنه سيُرينا من آياتهِ العلمية ما يهدينا إلى الإيمان به والتسليم له، قال تعالى: ﴿**قُلِ ٱلحَمدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُم ءَايَٰتِهِۦ فَتَعرِفُونَهَا**﴾ [النمل: 93].

وقال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِم ءَايَٰتِنَا فِي ٱلأفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِم حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ ٱلحَق**﴾ [فصلت: 53]، بل أن اللهﷻ عاتبنا لتقصيرنا في النظر في آياتهِ والبحث عن معجزاتهِ فقال تعالى: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن ءَايَة فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ يَمُرُّونَ عَلَيهَا وَهُم عَنهَا مُعرِضُونَ**﴾ [يوسف: 105]، في محاولة ليوجه الإنسان ببصيرتهِ إلى خالقهِ، فيسبحهُ ويمجدهُ ويعبدهُ حق عبادتهِ [3].

ونحن نتكلم عن الكون والوجود فإننا نجدُ الكثير ممن يحاولون التصدي لهذهِ القضية بالتشكيك تارةً وبالإنكار تارات، ويجهدون أنفسهم في محاولة لفرض نظرية الوجود المادي بعيداً عن الإيمان بالغيب، واستعملوا

---

1 ينظر: أحمد عزت باشا: الدين والعلم، (مصر– القاهرة: لجنة التأليف، ط1، 1980م)، ص8.

2 ينظر: عبد شحاته: تفسير الآيات الكونية، (بيروت: دار الاعتصام، ط1، د.ت)، ص15.

3 ينظر: عبد العليم عبد الرحمن خضر: الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، (المملكة العربية السعودية– جدة: الدار السعودية للنشر، ط1، 1986م)، ص27.

في ذلك عقولهم المريضة ومنطقهم المخادع في محاولات منهم لإسكات الفطرةِ وتغطية العقل، وهذا بدافع التملص من التكاليف ونابع من الشعور بالتقصير بحق الله تعالى، فإن كل إنسان عاصٍ يحملُ بداخلهِ شيئاً يؤرقهُ وهو يشعر بأن هناك حساباً وآخرة وأنه سيلقى الله، وهذا ما يجعلهُ ينطق في محاولات التشكيك في الدين والقرآن والخالق، لعلَّ نفسهُ تنخدع ولو كذباً بأنه لا حساب ولا عقاب، فيشعر بالأمان والاطمئنان [1].

ومن أجل هذا أظهرت أهمية التفسير العلمي في كتاب الله عز وجل لكونها؛ وسيلة مناسبة للدعوةِ في عصرٍ فُتِنَ الناسُ بالعلم والتكنلوجيا، فنبذ أغلب أهل الأرض الدين وراء ظهورهم، وانتشرت الأفكار الإلحادية، وأنكروا الخلق والخالق، والبعث والحساب، كما أنكروا الجنة والنار وغير ذلك من الغيبيات [2].

ومن هذا المنطلق ظهرت ضرورة الاهتمام بالإعجاز العلمي، وظهرت أهمية التفسير العلمي كونها تمثل السبيل الأمثل والوسيلة المقنعة لأهل هذا العصر في الإيمان بالغيبيات، في زمن تفجرت فيه المعارف العلمية، فبات من الواضح أنه لا يجدي مع هذهِ الأجيال المنبهرة بالعالم المادي ولا يقنعهم أي أسلوب أو وسيلة كأسلوب التفسير العلمي، فهو الوسيلة الأمثل بأيدي المسلمين اليوم في الدفاع عن الثوابت، وحماية أنفسهم وإنقاذ غيرهم من الأمم الضائعة من حولهم، والتي تهدد العالم كله بالدمار [3].

المطلب الثالث: أثر التفسير العلمي في علم التفسير.

لقد تجلت عظمة الإسلام على مدى الأيام في كون معجزتهِ الخالدة القرآن الكريم، والقرآن كلامُ الله المعجز، وكلُّ كلام له حدٌّ يبلغهُ في معناه، والقرآن الكريم لا حد لمعناهُ وإن حصرت كلماته بين دفتي المصحف [4]، فإنه برهان خالد ودليل ساطع على صدق رسالة الإسلام، وإنها من عند الله فقد ضمنهُ ربُّنا عز وجل من الآيات والدلائل الساطعات على مر العصور ما تشهد بصدقهِ وأنهُ منزلٌ من عند الله، قال تعالى: ﴿**إِن هُوَ إِلَّا ذِكر لِّلعٰلَمِينَ ۞ وَلَتَعلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعدَ حِينِ**﴾ [ص: 87-88].

---

1 ينظر: محمد متولي الشعراوي: (ت: 1418م): معجزة القرآن، مصر- القاهرة: دار أخبار اليوم، ط1، 1993م)، ص30.

2 ينظر: زغلول راغب النجار: مدخل الى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، لبنان-بيروت: دار المعرفة، ط1، 2009م)، ص153.

3 المصدر نفسه، ص 155.

4 ينظر: حسن عبد الفتاح أحمد: عناية المسلمين بأبرز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، (المملكة العربية السعودية- المدينة المنورة: مجمع الملك فهد، ط1، د.ت)، ص 78.

"ومعجزة القرآن تختلف عن معجزة الرسل السابقين في كثير من زوايا الإعجاز، وللقرآن إعجاز لا يتنبه إليه العقل إلا بعد أن ينشط ويكتشف المستور عنه من حقائق الكون وأسرارِه" [1].

فوجوه الإعجاز قد لا تأتي من القرآن مباشرةً، بل تنبع روافدهُ من الكون وأسراره التي تتجلى في عصر العلم شاهدةً بصدق القرآن وأنه كلام الله المعجز، وفي هذا المعنى يقول الشيخ الشعراوي [2]: "إن القرآن لم يأتِ ليعلمنا أسرار الوجود ولكنهُ أشار إليها وسجلها ليظهر الإعجاز الإلهي للناس في كل عصر ومع تقدم العلم البشري، علماً أن ربط القرآن الكريم مع النظريات العلمية شيءٌ لا يجب أنْ يحدث فالقرآن لا ترتبط صحتهُ باتفاقه مع نظرية علمية أيّاً كانت، ولكن العلم هو الذي يستفيد من صحته وبيانه الاتفاق مع آيات القرآن الكريم، فكل علم مخالف لحقائق القرآن هو علمٌ زائف؛ لأنَّ قائل القرآن هو الله سبحانه وتعالى وخالق الكون هو الله سبحانه وتعالى" [3].

فالقرآن الكريم يزخر بالعديد من الآيات التي تشير إلى الكون، وما فيه من كائنات وإلى صور نشأتها وتكوينها، وإلى العديد من الظواهر الكونية التي تصاحبها، مما حمل الكثيرين من أهل العلم وخصوصاً في الآونة الأخيرة وبالتحديد عبر القرنين الماضيين في الكتابة عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ومحاولة استظهار هذا التفسير، وكان في مقدمة هؤلاء الشيخ القاسمي [4]، ومحمد رشيد رضا[5]، والشيخ طنطاوي جوهري [6]، والمراغي [7]،

1الشعراوي، معجزة القرآن، ص43.

2الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، علمٌ بارز من أعلام الدعوة الاسلامية، وعالمٌ في التفسير درس في الازهر وحصل على الشهادة العالمية من كلية اللغة العربية بالقاهرة، ودرّس في جامعات عدة في الخارج والداخل ثم عين وزيراً للأوقاف في زمن السادات ثم ترك الوزارة وتفرغ للدعوة وذاع صيتهُ وعرفه الناس من خلال برنامجه التلفزيوني في تفسير القرآن الكريم، توفي بالقاهرة سنة 1998م، ينظر: مشاهير أعلام المسلمين: علي بن نايف الشحود، 143/1.

3 الشعراوي: معجزة القرآن، ص 273.

4 محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، أمام الشام في عصره، وعلمٌ من علماء الدين، كان ضليعاً بالأدب والتفسير وعلوم الشريعة، رحل في الدعوة إلى الله إلى عدة دول منها مصر، وزار المدينة ثم عاد إلى دمشق وصنف عدة تصانيف من أشهرها تفسيره محاسن التأويل وكتاب قواعد التحديث وغيرها وتوفي بدمشق سنة 1914م، ينظر: الأعلام: خير الدين بن محمود الزركلي (ت:1396هـ، ط15، (لبنان-بيروت: دار العلم للملايين، 2002م)، 135/2.

5 محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني، البغدادي الأصل الحسيني النسب، أحد رجال الإصلاح الاسلامي، عالم بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، صاحب مجلة المنار، وله عدة تصانيف من أشهرها تفسيره المنار وكتاب الوحي المحمدي وغيرها، توفي في القاهرة سنة 1935م، ينظر: الأعلام للزركلي، 126/6.

6 طنطاوي بن جوهري المصري، عالمٌ فاضل اشتغل بالتفسير والعلوم الحديثة، ولد في منطقة الشرقية بمصر، وتعلم في الأزهر وعنى بدراسة الإنكليزية، ودرس في عدد من المدارس، وألقى بعض المحاضرات في الجامعات المصرية وصنف عدة كتب ورسائل أشهرها تفسيرهُ الجواهر في تفسير القرآن، وكتاب نهضة الأمة وحياتها وغيرها، توفي سنة 1940م، ينظر: الأعلام، للزركلي، 230/3.

7 الشيخ المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، مفسر مصري، وعالمٌ فاضل تخرج بدار العلوم المصرية سنة 1909م، وعين أستاذاً للغةِ العربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، وله عدة مصنفات من أشهرها تفسير القرآن وكتاب الحسبة في الإسلام، توفي بالقاهرة سنة 1952م، ينظر: الاعلام للزركلي، 258/1.

ومحمد فريد وجدي [1]، وسيد قطب [2]، وأبو زهرة [3]، والشعراوي وغيرهم كثير، وقد أحصى الدارسون لهذه الإشارات الكونية في كتاب الله ما يقدر بحوالي ألف آية صريحة بالإضافة إلى آيات أخرى بعيدة الإشارة في اكتشاف حقائق الكون بما يؤكد تحقيق الوعد الإلهي ﴿**سَنُرِيهِم ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِم حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ**﴾ [فصلت: 53].

ولقد تباينت مواقف العلماء من تلك الآيات الكونية في كتاب الله بتباين الأفراد واختلاف ثقافاتهم وأزمانهم، وباتساع دائرة المعارف الإنسانية في مجال الدراسات الكونية أو ما يعرف بدراسة العلوم البحتة والتطبيقية، فما يطرح اليوم من حقائق ونظريات علمية يختلف عما طُرح بالأمس البعيد، وخصوصاً عند تأمل كتابات المتقدمين أمثال الإمام الغزالي [4] في كتابه (جواهر القرآن) [5]، والذي أعلن فيه أنّ القرآن مشتمل على جميع العلوم، ثم تبعه الإمام الفخر الرازي[6] في تفسيره مفاتيح الغيب [7]، والذي أكد فيه ما أعلنهُ قبلهُ الإمام الغزالي من أن جميع العلوم منبعها القرآن خرجت منه وتشعبت عنهُ [8].

حيث يعد تفسير الرازي من التفاسير التي استفاضت في ذكر المسائل العلمية والفلسفية، وخاصة ما يتعلق منها بعلم الهيئة والفلك وغيرها من العلوم التي كانت معروفة في زمانهِ، ثم نشطت الكتابة في موضوع التفسير

---

1 محمد فريد بن مصطفى وجدي من الكتاب الفضلاء والباحثين، ولد بالإسكندرية ونشأ فيها ثم أنتقل الى القاهرة وسكن فيها وعُين بديوان الأوقاف، وأصدر جريدة الدستور وألف عدة= =مؤلفات من أشهرها تفسيره صفوة العرفان، وكتاب الإسلام في عصر العلم وغيرها، توفي سنة 1954م، ينظر الأعلام للزركلي، 329/6.

2 سيد قطب بن ابراهيم، من رموز الفكر الإسلامي المعاصر تخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة وعمل في جريدة الأهرام ثم عُين مدرساً للعربية وبعدها في ديوان وزارة المعارف، ثم أنضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وسجن معهم ثم أعدم سنة 1967م، وترك مؤلفات عدة من أشهرها تفسيرهُ في ظلال القرآن، وكتاب الإسلام ومشكلات الحضارة وغيرها، ينظر: الأعلام للزركلي، 147/3.

3 محمد بن أحمد أبو زهرة، من أكابر علماء الشريعة الإسلامية في عصرهِ، ولد بالمحلة الكبرى بمصر، وتعلم العلم الشرعي حتى عين أستاذاً للدراسات العليا في كلية أصول الدين ثم وكيلاً في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، ووكيلاً لمعهد الدراسات الإسلامية، وأصدر عدداً من المؤلفات من أشهرها الوحدة الإسلامية، وكتاب تنظيم الإسلام للمجتمع وغيرها من المؤلفات، توفي بالقاهرة سنة 1974م، ينظر: الأعلام للزركلي، 125/6.

4 محمد بن محمد بن محمد، أبو حامد الغزالي الطوسي، حجة الإسلام الأمام الفيلسوف المتصوف، ولد بطوس إحدى قصبات خراسان، ورحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد وطَوّف بالحجاز ومصر وبلاد ما وراء النهر ثم عاد إلى بلدته وتوفي فيها سنة (505هـ). ينظر: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد (ت: 851هـ)، تحقيق: عبد العليم خان، ط1، (بيروت: دار عالم الكتب، 1987م)، 293/1.=

5 أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ): جواهر القرآن، تحقيق: الدكتور محمد رشيد رضا القباني، (بيروت: دار إحياء العلوم، ط2، 1406هـ -1986م)، ص15.

6 محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن، أبو عبد الله التيمي، المعروف بفخر الدين الرازي، الإمام المفسر الأصولي، أوحد زمانه في المعقول والمنقول، ولد في الري، ورحل إلى خوارزم، وما وراء النهر، وخراسان وصنف التصانيف التي من أشهرها تفسيره مفاتح الغيب، والمحصول في الأصول، وغيرها، وتوفي بهراة سنة 606هـ. ينظر: إسماعيل بن عمر بن كثير: طبقات الشافعين (ت: 774هـ)، تحقيق أنور الباز، (مصر المنصورة: دار الوفاء، د.ط، 2004م)، 778/1.

7 أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ): مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ)، 260/2.

8 ينظر: زغلول النجار: مدخل لدراسة الإعجاز العلمي، ص 78.

والإعجاز العلمي للقرآن الكريم وخصوصاً في القرنين الماضيين نشاطاً ملحوظاً بسبب التقدم العلمي والتكنلوجي في مجال دراسة الكون والأجرام السماوية والعوالم الأخرى من ظواهر كونية، وقد أدت هذه الجهود إلى بروز المنهج العلمي في تفسير القرآن الكريم، والذي يعتمد معطيات العلوم البحتة والتطبيقية في تفسير الآيات الكونية الواردة في كتاب الله، في محاولة لسد النقص والتقصير الحاصل في هذا الجانب، وقد نعى الشيخ طنطاوي جوهري على علماء المسلمين إهمالهم لهذا الجانب وتركيز جهودهم على الجوانب البيانية والفقهية فقط، فقال: "لماذا ألف علماء الإسلام عشرات الألوف من الكتب في علم الفقه وعلم أصول الفقه ليس له في القرآن الكريم إلا آيات قلائل لا تصل إلى مائة وخمسين آية؟ فلماذا كثر التأليف في علم الفقه، وقل جداً في علوم الكائنات التي لا تكاد تخلو منها سورة" [1].

وانطلاقاً من ذلك فقد ظهرت مؤلفات عديدة تبرز قضية التفسير العلمي في كتاب الله وتظهر صور الإعجاز العلمي، ولعل من أشهرها:

1- كتاب كشف الأسرار النورانية القرآنية: محمد بن أحمد الإسكندراني.

2- كتاب الإسلام والطب الحديث: عبد العزيز إسماعيل.

3- معجزة القرآن في وصف الكائنات والتفسير العلمي للآيات الكونية: حنفي أحمد.

4- كتاب في سنن الله الكونية: محمد أحمد الغمراوي.

5- كتاب الإسلام في عصر العلم: محمد أحمد الغمراوي.

6- كتاب إعجاز القرآن في علم طبقات الأرض: محمد محمود إبراهيم.

7- كتاب العلوم الطبيعية في القرآن الكريم: يوسف مردة.

8- كتاب أضواء من القرآن على الإنسان ونشأة الكون والحياة: عبد الغني الخطيب.

9- كتاب القرآن والعلم: أحمد محمود سليمان.

10- كتاب من إشارات العلوم في القرآن الكريم: عبد العزيز سيد الأهل.

---

1 طنطاوي جوهري (ت:1358هـ): الجواهر في تفسير القرآن الكريم، (مصر- القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2،، 1931م)، 174/1.

11- كتاب تفسير الآيات الكونية: عبد الله شحاته.

12- كتاب: الإسلام والعلم التجريبي: يوسف السويدي.

13- كتاب القرآن تفسير الكون والحياة: محمد العفيفي.

14- كتاب الإنجيل والقرآن والعلم: موريس بوكاي.

15- كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن: محمد علي البار.

هذا بالإضافة إلى ما ظهر مؤخراً من كتب ودوريات عديدة تناولت موضوع التفسير العلمي والإعجاز في القرآن الكريم [1].

ومن الجدير بالذكر في هذا الموضوع أن هذا المنهج قد تعرض للكثير من النقد ولأسباب عدة منها: عدم كفاءة من تصدّر للكتابة عن التفسير العلمي والإعجاز، وبالآتي ظهرت كتاباتُهم بعيدةً عن التحقيق العلمي المنضبط في هذا الباب، فكان يظهر عليهم القصور الواضح في فهم الحقائق العلمية، والجهل بأصول وضوابط الاجتهاد في التفسير، مما جعل كتاباتهم عُرضه للنقد والتجريح، وبالرغم من ذلك فقد ساهمت هذهِ الكتابات في دفع آخرين من أهل العلم ممن تتوفر فيهم المكنة العلمية على إثراء هذا الجانب بمجموعة من المؤلفات القيمة التي استطاعت الجمع بين الحقائق العلمية في مجالات العلوم البحتة والتطبيقية وبين الآيات الكونية في كتاب الله، في محاولة منهم لإقامة الحجة والبينة على المنكرين والجاحدين والمشككين من الكفار والمشركين.

المبحث الرابع: الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي

قبل أن نتكلم عن الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي، لابد من تعريف الإعجاز وبيان مفهومه وماهيته، وآراء العلماء فيه، ثم نبين بعدها الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز العلمي.

لقد تحدى الله عز وجل العرب أن يأتوا بسورةٍ من مثل سور القرآن، وعلى الرغم مما كانوا عليه من علمٍ بأسرار العربية وأسباب البيان والفصاحةِ والبلاغة، ولا يزال هذا التحدي قائماً دون أن يستطيع عاقل عن مجابهة

1 ينظر: زغلول النجار: مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي، ص 82.

القرآن، فقد عجزت القدرات البشرية ولا تزال عاجزة على أنْ تداني كتاب الله روعةً في بيانهِ، أو دقةً في دلالةِ ألفاظهِ، أو روعةً في معانيه أو صدق أنبائهِ، فالقرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الموجود بين أيدي الناس اليوم، والمحفوظ بحفظ الله له وهو لا يزال بصفاتهِ الربانية، وإشراقاتهِ النورانية ولغته العربية التي نزل بها [1]، قال تعالى: ﴿**قُل لَّئِنِ ٱجتَمَعَتِ ٱلإِنسُ وَٱلجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأتُواْ بِمِثلِ هَٰذَا ٱلقُرءَانِ لَا يَأتُونَ بِمِثلِهِۦ وَلَو كَانَ بَعضُهُم لِبَعض ظَهِيرا**﴾ [الإسراء: 88].

والقرآن الكريم يمثل المعجزة العظمى للرسالة الخالدة وقد تعددت فيه وجوه الإعجاز، فهناك الإعجاز البياني، وهناك الإعجاز التشريعي، وهناك الإعجاز الرقمي، والتاريخي والتربوي [2]، "وتعددت أوجه الإعجاز بتعدد جوانب النظر فيه، فكل حرف من حروفهِ، وكل كلمة من كلامهِ، وكل آية من آياتهِ فيها إعجاز لفظي وبياني ودلالي، وكل مجموعة من الآيات، وكل سورة من السور طالت أم قصرت تشهد لكتاب الله تعالى بأنهُ معجز بما فيه من قواعد عقدية، أو أوامر تعبدية، أو قيم أخلاقية أو ضوابط سلوكية أو أحداث تاريخية، أو آيات علمية إلى شيء من أشياء هذا الكون الفسيح، وما فيه من ظواهر وسنن وكائنات" [3].

ولكي نبين معنى الإعجاز بشكل واضح، كان لابد من بيان تعريفه لغة واصطلاحاً.

أولاً: تعريف الإعجاز لغة: عجز يعجز عجزاً، وإعجازاً ومعجزةً فهو عاجز ومفعولهُ معجوزاً عنه، ومعناهُ العجز عن الشيء وعدم المقدرة عليه، ومثله قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَٰوَيلَتَىٰٓ أَعَجَزتُ أَن أَكُونَ مِثلَ هَٰذَا ٱلغُرَابِ**﴾ [المائدة: 31] [4].

ثانياً: تعريف الأعجاز اصطلاحاً: والذي يعنينا في بحثنا هذا، هو الإعجاز العلمي وبيان معناه، فمن المعلوم أنَّ مصطلح الإعجاز العلمي لم يكن قديماً، وإنما هو حديث النشأة، ونحن لا ننكر أن يكون المتقدمون من أهل العلم قد أشاروا إليه بعبارات تتضمن معنى الإعجاز العلمي وإنْ لم تكن صريحة، وبسبب حداثة هذا المصطلح فإني لم أعثر له على تعريف مشهور يتردد بين صفحات الكتب، وإنما اختلفت عبارات أهل العلم في

1 ينظر: زغلول النجار: مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي، ص12

2 ينظر: فضل حسن عباس: إعجاز القرآن الكريم، (الأردن- عمان: دار النفائس للنشر، ط2، 1991م)، ص28

3زغلول النجار، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي، ص73.

4 ينظر: أحمد بن محمد بن علي الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (ت:770هـ)، (بيروت المكتبة العلمية، ط1، د.ت)، 326/1.

تعاريفهم لمعنى الإعجاز العلمي [1]، لكنها بالنتيجة لا تخرج عن الإطار العام لمعنى الإعجاز، ولذا فيمكن أن نختار في تعريفه ما يأتي:

هو إخبار القرآن الكريم بحقيقةٍ أثبتها العلم التجريبي وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسولﷺ لإظهار صدقهِ فيما أخبر عن ربه جلَّ جلالهُ [2].

فالقرآن الكريم معجز من جميع الوجوه، ولا يقف إعجازهُ في اللغة والبيان فحسب، بل تعدى إلى كثير من صور العلم التي أثبتت أنهُ كلام الله الحق، ومعجزة الرسول ﷺ الخالدة، قال ﷺ: «ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيتهُ وحياً أوحاهُ الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً يوم القيامة» [3].

قال ابن حجر [4] عند شرحهِ لهذا الحديث: "ومعجزة القرآن مستمرةٌ إلى يوم القيامة، وخرقهِ للعادة في أسلوبه وفي بلاغتهِ وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصرٌ من الأعصار إلاَّ ويظهر فيه شيءٌ مما أخبر به أنهُ سيكون، يدلُ على صحةِ دعواه" [5].

وقد عالج كثير من العلماء عدداً من جوانب الإعجاز القرآني، إلا أن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لم تتضح لنا جوانبهُ الكثيرة إلا في زمن التقدم العلمي والتقني الذي نعيشهُ في هذه الأيام فأصبح أسلوباً فريداً في الدعوة إلى دين الله، في زمن فتح الله سبحانه وتعالى العديد من أسرار الكون ومكوناتهِ للإنسان، وفُتن فيه الناس بالعلوم الكونية ومعطياتها فتنةً كبيرة [6]؛ وظهرت الحاجة إلى استنهاض الفكر وإعمال العقل واستثارة الإبداع لاستخراج الكنوز العلمية ومكنوناتها في آيات الله المسطورة، في خطوة لإثبات أن مبدع هذا الكون المنظور هو نفسهُ مُنزل هذا الكتاب المعجز المسطور، قال تعالى: ﴿**قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ**﴾ [العنكبوت: 20].

---

1 ينظر: عبد السلام حمدان اللوح: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص 115.

2 ذكر هذا التعريف الشيخ محمد الامين ولد الشيخ، في بحثه: التفسير العلمي للقرآن بين المجيزين والمانعين، وهو بحث قدمه في المؤتمر الاول للإعجاز العلمي في القران والسنة، الذي أقيم في اسلام آباد/ باكستان، سنة 1987م.

3 أخرجه البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي، برقم (4981)، 182/6.

4 أحمد بن علي بن محمد بن علي، أبو الفضل شهاب الدين، المعروف بابن حجر العسقلاني، الإمام الحافظ الكبير، صاحب التصانيف، انتشرت مصنفاته في حياته، وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر، ومن أشهرها فتح الباري شرح صحيح البخاري، ولسان الميزان وغيرها، توفي في القاهرة سنة 852هـ. ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت:1250هـ)، (بيروت: دار المعرفة، ط1، د.ت)، 87/1.

5 أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل العسقلاني (ت: 852هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، د.ط، 1959م)، 624/7.

6 ينظر: زغلول النجار: الأرض في القرآن الكريم، (لبنان-بيروت: دار المعرفة، ط1، 2005م)، ص32.

ونحن اليوم في عصر التقدم وفي زمن النهضة العلمية الكبرى، وأمام انفتاح علمي مذهل، وانتشار وسائل التعليم والمعلوماتية، كالقنوات الفضائية وأجهزة الكمبيوتر، واتصالات الأنترنت، وغيرها من الوسائل التي قربت العالم وجعلتهُ كالقرية الواحدة، لا يليق بنا كدُعاة أن يقتصر فهمنا ومعرفتنا بأحكام تعبدية وبعض المسائل في الفقه والتفسير ونجهل الكثير مما يدور حولنا من علوم أخرى تصبُّ في معين الشريعة نفسها، قد أمرنا أن نستزيد قول الله تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدنِي عِلما**﴾ [طه:114].

المطلب الثاني: آراء العلماء في الإعجاز العلمي.

لقد اختلف أهل العلم وتباينت آراؤهُم في قضية الإعجاز العلمي ما بين مؤيد ومعارض، وحاول كلُّ فريق أن يثبت وجهةَ نظرهِ بسرد الأدلة والحجج على صحتها [1]، وسأعرض في هذا المطلب آراء الفريقين وما احتجوا به فيما ذهبوا إليه، وكما يأتي:

أولاً: فريق المعارضين: اعترض مجموعة من أهل العلم الأفاضل على قضية الإعجاز العلمي وتفسير القرآن تفسيراً علمياً ومن أبرز هؤلاء [2]:

1- الإمام الشاطبي: المتوفي سنة790هـ، في كتابه الموافقات [3].

2- الدكتور محمد حسين الذهبي: المتوفي 1978م، في كتابه التفسير والمفسرون [4].

3- الدكتور شوقي ضيف: المتوفي سنة 2006م، في كتابة الفن ومذاهبه في النثر العربي [5].

ثانياً: فريق المؤيدين للإعجاز العلمي: وذهب جمع من أهل العلم والفضل إلى تأييد الإعجاز العلمي وتفسير الآيات تفسيراً علمياً ومن أبرز هؤلاء [6]:

---

1 ينظر: هبة سعيد فارس: الإعجاز العلمي في آيات بداية الكون ونهايته، (فلسطين- غزة: منشورات الجامعة الإسلامية، ط1، 2011م)، ص6.

2 ينظر: عبد السلام حمدان اللوح: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص 116.

3 ينظر: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي (ت:790هـ): الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (الرياض: دار ابن عفان، ط1، 1997م)، 257/3.

4 ينظر: محمد حسين الذهبي (ت: 1398هـ): التفسير والمفسرون، (القاهرة: مكتبة وهبة، د.ت)، 359/2.

5 ينظر: أحمد شوقي عبد السلام ضيف (ت: 1426هـ): الفن ومذاهبه في النثر العربي، (بيروت: دار المعارف، ط13، د.ت)، ص43.

6 ينظر: عبد السلام حمدان اللوح: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص118؛ هبة سعيد: الإعجاز العلمي في آيات بداية الكون ونهايته، ص7.

1- الإمام السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي المتوفى سنة 911هـ [1].

2- الشيخ محمد عبده بن حسن خير الله، المتوفى سنة 1323هـ في كتابه رسالة التوحيد [2].

3- الشيخ محمد رشيد رضا بن علي رضا بن محمد القلموني الحسيني المتوفى سنة 1935م في كتابه الوحي المحمدي [3].

4- الشيخ عبد الحميد بن محمد بن باديس الصنهاجي المتوفى سنة 1939م، في كتابه مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير [4].

5- الشيخ طنطاوي جوهري المصري المتوفى سنة 1940م في كتابة الجواهر في تفسير القرآن [5].

6- الشيخ محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، المعروف بأبي زهرة المتوفى سنة 1974م، في كتابه المعجزة الكبرى القرآن [6].

7- الشيخ رشيد الخطيب الموصلي: رشيد بن صالح بن طه الخطيب الطائي الموصلي المتوفى سنة 1979م، في مقدمة تفسيره [7].

وغيرهم من أهل العلم، بالإضافة إلى عدد من المجامع والهيئات العلمية التي أصدرت مجموعة دورية تصدر باسم الإعجاز العلمي، كهيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة التي أنشأتها رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وكالموسوعة الكونية الكبرى في الإعجاز العلمي والقائم عليها الدكتور ماهر أحمد الصوفي الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف في دولة الإمارات، وبمشاركة أكثر من مئتي باحث في مجال الإعجاز العلمي، وبمباركة عدد من المشايخ الأفاضل كالدكتور محمد سعيد

1 ينظر: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911هـ): معترك الأقران في إعجاز القرآن، (بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 1988م)، 347/1.

2 ينظر: محمد عبده بن حسن خير الله (ت: 1323هـ): رسالة التوحيد، (بيروت: دار كتاب العربي، د.ط، د.ت)، ص77.

3 ينظر: محمد رشيد بن علي رضا القلموني (ت:1354هـ): الوحي المحمدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2005م)، ص99.

4 ينظر: عبد الحميد بن باديس (ت:1359هـ): مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تحقيق أحمد شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، د.ت)، ص23.

5 ينظر: طنطاوي جوهري: الجواهر في تفسير القرآن الكريم، 173/1.

6 ينظر: محمد بن أحمد بن مصطفى أبي زهرة (ت: 1394هـ): المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، (بيروت، د.ط، د.ت)، ص369.

7 ينظر: رشيد الخطيب الموصلي: مقدمة تفسير أولى ما قيل، ص50.

رمضان البوطي، والدكتور عكرمة سليم صبري مفتي القدس، وخطيب المسجد الأقصى والدكتور محمد جمعة سالم وكيل وزارة العدل والأوقاف في دولة الإمارات، والدكتور فاروق حمادة أستاذ السنة في كلية الآداب في جامعة الملك محمد الخامس في المغرب، والدكتور عبد المعطي بيومي عميد كلية أصول الدين في جامعة الأزهر.

بالإضافة إلى عدد كبير من الموسوعات العلمية في الإعجاز كموسوعة الكحيل في الإعجاز العلمي، للأستاذ عبد الدايم الكحيل، إضافة إلى عدد من الكتب والمؤلفات المفردة في هذا الباب.

مناقشة أدلة الفريقين:

أ- أدلة المعارضين:

استدل المانعون للإعجاز والتفسير العلمي بأن هذا النوع من التفسير يندرج تحت التفسير بالرأي وهو عندهم مما لا يجوز التفسير به مستدلين ببعض النصوص والآثار ومنها قوله ﷺ: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعدهُ من النار» [1]، وكذلك ما روي عنه ﷺ: «من قال بالقرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» [2]، ومن الآثار ما روي عن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه): «أي سماء تظلني، واي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله برأي» [3]، وما روي عن سعيد بن المسيب [4] أنه قال: «لقد أدركتُ فقهاء المدينةِ وإنهم ليعظمون القول بالتفسير» [5]، وما روي عن مسروق بن الأجدع [6]: «أتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله» [7].

1 رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس (رضي الله عنه)، برقم (2069)، 3/ 496، وقال شعيب الأرناؤوط حديث ضعيف.

2 أخرجه أبو داوود، سنن أبي داود: كتاب العلم، باب: الكلام في كتاب الله بغير علم، من حديث جندب بن عبد الله البجلي، برقم (3652، 43/3، وقال شعيب الأرناؤوط حديث ضعيف.

3 أخرجه ابن أبي شيبة، مصنف أبن أبي شيبة: باب من كره ان يفسر القرآن، رقم (33.

4 سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي القرشي، أحد فقهاء المدينة السبعة، وكان أحفظ الناس بأحكام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه وقضاءه، توفي بالمدينة سنة94هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ) تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ - 1985م)، 217/4.

5 محمد بن جرير الطبري (ت:310هـ): جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): تحقيق: أحمد محمد شاكر، (لبان-بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م)، 85/1.

6 مسروق بن الأجدع بن مالك الوادعي الهمداني تابعي ثقة من أهل اليمن، قدم المدينة في زمن أبي بكر (رضي الله عنه) وسكن الكوفة، وشهد الحروب مع علي (رضي الله عنه) توفي سنة 63هـ، ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 63/4.

7 أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: 774هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ)، 14/1.

وقد رد المؤيدون للقول بالإعجاز والتفسير العلمي على أدلة المانعين بما فحواه أن المنع بحجة ما ورد من أحاديث وآثار، فهذهِ الأحاديث التي نهت عن التفسير بالرأي فمقصودها الهوى، لا الرأي المنطقي المبني على الحجة الواضحة والبرهان المقبول، ويؤكد ذلك عبارة بغير علم التي وردت في الحديث، زيادة على أن الحديثين قد تكلم في سندهما وضُعِفا، فلا يحتج بهما [1].

وأما الآثار التي وردت عن بعض السلف كأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وسعيد بن المسيب، ومسروق وغيرهم كما تقدم ذكرها، فقد أجيب عنها بأن "هذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغةً وشرعاً فلا حرج عليه؛ ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ولا منافاة، لأنهم تكلموا فيما يعلمون، وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل واحد" [2].

واستدل المانعون أيضاً بأن مفهوم الألفاظ في القرآن الكريم تدرَّج من عصر إلى عصر، فبعضهُ عرفتهُ العرب وقت نزوله، وبعضهُ لم تعرفهُ؛ لأنه حادث باصطلاح أرباب العلوم والفنون، فلا يعقل أن نتوسع توسعاً كبيراً في فهم ألفاظ القرآن وجعلها تدل على معان جرت باصطلاح حادث، وهل يعقل أن الله إنما أراد بهذه الألفاظ القرآنية هذه المعاني التي حدثت بعد نزول القرآن بأجيال؟ [3].

ورَدَّ المجيزون بأن التدرج في مفهوم الألفاظ من عصر إلى عصر واختلاف المعاني مع امتداد الزمن هو من أسرار القرآن الكريم، فالقرآن في أسلوبه وبلاغتهِ يستعمل الكلمة الجامعة الحاوية للكثير من المعاني والتي تصلح للعديد من التغيرات بما لا يناقض بعضها بعضاً، على وفق ما تسترضيه العقول، وتطمئن إليه القلوب وتصلح به أحوال الذين أنزل إليهم على اختلاف عصورهم وتنوع بيئاتهم ومجتمعاتهم وهذا السر في الإعجاز، فالقرآن حمال وجوه، ولو قصرنا معاني ألفاظ القرآن على ما كانت معروفه في عصر النزول لما صلح القرآن لغير زمانهِ [4].

واستدل المانعون أيضاً بأن النظرة العلمية للقرآن وجعله مصدراً لجوامع الطب وضوابط الفلك، ونظريات الهندسة وقوانين الكيمياء إلى غير ذلك من العلوم المختلفة يوقع الشك في عقائد المسلمين نحو القرآن الكريم،

---

1 ينظر: زغلول النجار: مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي، ص86.

2 أبو العباس تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي (ت:728هـ): مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز، ط1، مصر– المنصورة: دار الوفاء، د.ط، 2003م)، 320/2.

3 ينظر: محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، 360/2.

4 ينظر: عبد السلام اللوح: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص 122.

وذلك لأن قواعد العلوم ونظرياتهِ لا تعرف الثبات ولا القرار، فرب نظرية علمية قال بها عالم اليوم ثم رجع عنها بعد زمن قليل أو كثير؛ بعد أن ظهر له خطؤها وهذا يقتضي أن يتقلب القرآن بتقلب المسائل العلمية [1].

وقد رُد على ذلك بأنه لم يقل أحد ممن قال بالتفسير والإعجاز العلمي أن القرآن كتابُ فلسفةٍ أو طب أو هندسةٍ وكيمياء، ولم يقل أحد منهم أن القرآن الكريم مصدر لجزئيات المسائل الفلكية والهندسية والكيميائية وغيرها من العلوم، وإنما قالوا إن في القرآن إشارات لأصول هذهِ العلوم، وهناك بعض الآيات تنص على حقائق من هذه العلوم لم تكن معروفة في عصر نزول القرآن.

ثم إننا لا نقول بأنه يجب التوفيق بين كل ما يظهر من نظريات علمية وبين القرآن وإنما نقصد من ذلك الحقائق العلمية التي أشار إليها القرآن، وقد قصرنا القول بالحقائق العلمية لا النظريات؛ لأن الحقائق العلمية لا تتغير على خلاف النظريات العلمية فقد تتغير في العصر الحديث نظراً لتطور الأجهزة والآلات الدقيقة [2].

فالقرآن لا يتقلب بتقلب النظريات، وإنما هو ثابت بثبوت الجبال، ولكن طبيعة ألفاظهِ قد تتغير معانيها وفقاً لقواعد اللغة وواقع العصر الذي نعيشهُ [3].

واستدل المانعون أيضاً أن القرآن الكريم كتاب هداية ربانية وكتاب عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات، فهو كتاب الدين الذي أوحاهُ الله لنبيه ﷺ، فهو ليس كتابَ علمٍ تجريبيٍ، وإن الآيات العلمية التي وردت به جاءت في مقام الإرشاد والموعظة، لا في مقام البيان العلمي بمفهومه المحدد، وإن هذه الآيات على كثرتها جاءت في الغالب مجملة بهدف توجيه الإنسان إلى التفكير والتدبر في خلق الله، لا بهدف الاختبار العلمي المباشر [4].

ورُد على ذلك أنه لا تعارض البتة بين كون القرآن الكريم كتاب هداية ربانية وعقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات، وبين احتوائهِ على عدد من الآيات العلمية الدقيقة التي وردت في مقام الاستدلال على أحقية هذا الدين وصدق القرآن وأنه وحيٌ من عند الله تعالى، فالقرآن كتاب تشريع ونظام كامل للحياة، ومشتمل للدلائل والآيات التي تدلُ على وحدانية الله خالق الكون ومبدع الوجود [5].

---

1 ينظر: محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، 361/2؛ وعبد السلام اللوح: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص124.

2 ينظر: مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، (لبنان- بيروت: دار الكتاب، العربي، ط9، 1973م)، ص206.

3 ينظر: حسين الهراوي: النظريات العلمية في القرآن، (مصر- القاهرة: مطبعة الرسالة، ط1، 1942م)، ص5.

4 ينظر: زغلول النجار: الأرض في القرآن الكريم، ص 40.

5 ينظر: زغلول النجار: مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي، ص96.

ومن هنا كان فهم الناس للآيات العلمية الواردة في القرآن الكريم على ضوء ما يجتمع لديهم من معارف، شهادة للقرآن بأنه لا تنتهي عجائبه ولا يبلى على كثرة الرد ولعل هذا من أروع صور الإعجاز في كتاب الله تعالى .[1]

ب– حجة المؤيدين للإعجاز والتفسير العلمي:

واحتج الفريق الثاني، الذي يؤيد الإعجاز والتفسير العلمي بجملة أدلة من أبرزها قوله تعالى: ﴿**سَنُرِيهِم ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ**﴾ [فصلت: 53]، وقوله تعالى: ﴿**إِن هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ**﴾ [ص: 87–88]، قال الفراء [2] في تفسير الحين الذي ذكرتهُ الآية الكريمة: "بعد الموت وقبلهُ أي لتظهر لكم حقيقة ما أقول بعد حين أي في المستأنف" [3].

واستدلوا بقوله ﷺ: «ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أعطي من الآيات ما مثلهِ آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيتهُ وحياً أوحاهُ الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً يوم القيامة» [4].

وقد تقدم كلام الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث ص65، إلى أن قال: "... فعم نفعه من حضر ومن غاب ومن وجد ومن سيوجد" [5].

المطلب الثالث: الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي وضوابط العمل بهما.

أولاً: الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي:

عبر الباحث في تعريفه للتفسير العلمي بأنه محاولة للكشف عن بعض معاني الآيات القرآنية في ضوء الحقائق العلمية [1].

---

1 ينظر: عبد السلام اللوح: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص140.

2 يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، أبو زكريا، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، وكان مع تقدمه في اللغة فقيها متكلما، عالما بأيام العرب وأخبارها، عارفا بالنجوم والطب، يميل إلى الاعتزال، ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابنيه، وتوفي في طريق مكة سنة 207هـ. ينظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: محمد بن أحمد بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ)، تحقيق: بشار عوّاد معروف، (دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003 م)، 141/5.

3 أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت207هـ): معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، (مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، د.ت)، 413/2.

4 تقدم تخريجه، ص65.

5ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، 624/7.

كما عبر الباحث في بيانهِ لمفهوم الإعجاز العلمي بأنه إخبار القرآن الكريم ببعض الحقائق العلمية قبل اكتشاف العلم التجريبي لها في زمان لم يكن باستطاعة البشر أدراكها بالوسائل المتاحة لهم آنذاك [2].

وبالنظر في التعريفين السابقين نجد أن ثمة فرقاً كبيراً بين معاني التفسير العلمي وبين الإعجاز العلمي، غير أن هذا الفرق لا يعني التباين بينهما واستقلال كلِ واحد منهما عن الآخر، بل هنالك علاقة وفروق بينهما يمكن إيجازُها بما يأتي [3]:

1- التفسير العلمي يعدُ أساسياً ومقدمة ضرورية للوصول إلى الإعجاز العلمي؛ وبذلك فإن ما يشترط للتفسير العلمي للقرآن هو نفس شروط الإعجاز العلمي للقرآن.

2- يُعد التفسير العلمي صورة من صور الاجتهاد في التفسير بخلاف الإعجاز العلمي فإن دلالته لا تقبل الاجتهاد فلا بد من استقرار ووضوح في دلالةِ الإعجاز العلمي.

3- التفسير العلمي يُداخلهُ الخطأ والصواب لأنه اجتهاد المفسر، بخلاف الإعجاز العلمي فانه لا يخضع للاجتهاد.

4- يجوز في التفسير العلمي استخدام النظريات التي يغلب عليها الظن أنها صحيحة، بخلاف الإعجاز العلمي فلا يستخدم فيه إلا الحقائق العلمية الثابتة والمستقرة.

5- العلاقة بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي علاقة عموم وخصوص من وجه فكلُّ إعجاز علمي هو في الأصل تفسير علمي، وليس العكس، ومن جهةٍ أخرى فإن التفسير العلمي أعم من الإعجاز العلمي.

6- الإعجاز العلمي هو ثمرة التفسير العلمي وغايتهُ.

ثانياً: ضوابط العمل بالتفسير العلمي والإعجاز العلمي:

قبل أن نتكلم عن الضوابط لا بد من التذكير بأن التفسير العلمي هو أحد اتجاهات التفسير ويصدق عليه ما يصدق على التفسير من ضوابط بشكل عام، ولكن بالنظر لظاهرة التعسف والفوضى في كتابات وأبحاث بعض

---

1 ينظر: صفحة 48 من الرسالة.

2ينظر: صفحة 64 من الرسالة.

3 ينظر: مرهف عبد الجبار سقا: التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، (سوريا- دمشق: دار محمد الأمين، ط1، 2008م)، ص118.

من تصدى لظاهرة التفسير والإعجاز العلمي عموماً، رأيتُ ضرورة أنْ يضبط هذا الاتجاه من التفسير والإعجاز بضوابط مفردةً ومخصوصةً يُرجعُ إليها في تحكيم ما يُكتب من أبحاث في هذا الاتجاه [1]، وقد تناول عدد من الباحثين والكُتاب الكلام عن هذهِ الضوابط وأفردوها بالتصنيف والتفصيل، وفي هذهِ العجالة أجملُها بما يأتي:

أ- الضوابط المتعلقة بالإعجاز العلمي [2]:

إن الادعاء بوجود إعجاز علمي لا يُسلم به إلا بعد تحقق مناطهِ وثبوته بما لا يدع الشك، وهذا الأمر يضبطُ بالأمور الآتية:

1- ثبوت اكتشاف الحقائق العلمية المكتسبة من قبل أهل الاختصاص البحت، ثبوتاً لا يقبل الشك.

2- الدلالة الواضحة على تلك الحقيقة في نص من نصوص القرآن الكريم دون تكلف أو تعسف في الاستدلال.

3- ثبوت استحالة معرفة البشر بتلك الحقيقة الكونية وقت تنزل القرآن على نبينا محمد ﷺ.

4- تحقق المطابقة بين دلالة النص من كتاب الله عز وجل وبين تلك الحقيقة العلمية الثابتة.

ب- الضوابط المتعلقة بالتفسير العلمي [3]:

وهي كما يلي:

1- لا بد أن يخضع التفسير العلمي للقرآن الكريم لدلالات اللغة العربية وقواعدها في الإعراب والصرف.

2- لا بد للتفسير العلمي من مراعاة الدلالةِ وخضوعهِ لقواعد علم المعاني وأساليب البيان.

3- لا بد للتفسير العلمي من مراعاة قواعد أصول الفقه وأصول التفسير في عملية الاستنباط والفهم.

---

1 ينظر: مرهف عبد الجبار: التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، ص122.

2 ينظر: عبد الله المصلح: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص31. وعبد الله بن عبد العزيز المصلح: قواعد تناول الإعجاز العلمي والطبي في السنة وضوابطه، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط، د.ت)، ص14.

3 ينظر: مرهف عبد الجبار: التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، ص227.

4- الإحاطة التامة بعلوم القرآن وما يتعلق بالآيات من أسباب النزول ومعرفة المكي والمدني ومعرفة القراءات الصحيحة والعناية بالوقف والابتداء وغيرها مما يتعلق بهذا العلم.

5- اتباع أحسن الطرق في التفسير العلمي وهو أن يفسر القرآن بالقرآن ثم بالسنةِ ثم بأقوال الصحابة (رضي الله عنهم).

6- التحقق من وجود الإشارة في الآية وربطها بالمادة العلمية المشار إليها دون تكلف ولا تعسف أو شطط قد يوقع في المحظور.

فهذهِ باختصار بعض الضوابط المتعلقة بالتفسير العلمي والتي ينبغي على المفسر مراعاتها، كما ويجب عليه مُراعاة الأدب مع أقوال العلماء السابقين ممن يخالفونهُ وعدم مصادرة أقوالهم مع الأخذ بعين الاعتبار أن المجتهد مأجور بكلا الحالتين-إن أصاب أو أخطأ-، كما ويجب على من تعرض للتفسير العلمي أن لا يجزم بأنَّ ما ذهب إليه في تفسير الآية هو المراد من كلام الله سبحانه قطعاً، بل عليه أنْ يبين أنه وجهٌ من وجوهِ الاجتهاد في بيان المراد من الآية، كما وينبغي على المشتغل في التفسير العلمي أنْ يحسن التعامل مع نصوص التفسير وأقوال العلماء وأنْ ينزلها مكانها ولا يحملها ما لا تحتمل، أو أن يجعلها في موضع لا تدل عليه.

الفصل الثاني: التفسير العلمي المتضمن للحقائق العلمية حول السماء والفلك

المبحث الأول: التفسير العلمي المتضمن للحقائق العلمية حول السماء

يوجد في القرآن الكريم أكثر من ألف آية صريحة تتحدث عن الكون ومحتوياته وخصائصه، بالإضافة إلى آيات أخرى كثيرة تتقارب دلالاتها من الوضوح، وهذه الآيات العلمية التي تتعلق بخلق الإنسان والكون قد صيغت في القرآن الكريم صياغةً شاملة معجزة يتعلم منها أهل كل زمن معنى من المعاني بما يتوافق مع ما يتوفر لهم من علم بالكون ومكوناتهِ وتظل هذه المعاني تكبر باستمرار باتساع مساحة المعرفة الإنسانية في تكامل لا يعرف التضاد أو التناقض، حتى يبقى القرآن الكريم مهيمناً على المعرفة الإنسانية مهما كبرت مساحتها، وهذا إن دل فإنما يدل على صدق القرآن الكريم وأنه من عند الله العزيز الحكيم، فإنه ليس لعاقل أن يتخيل هذا الكم الكبير من الضوابط العلمية في القرآن الكريم من عند غير الله سبحانه [1].

وهذهِ الآيات التي تتضمن التفسير العلمي لم ترد من قبيل الإخبار العلمي المباشر للإنسان، وذلك لأن الكشف العلمي قد ترك باجتهاد الإنسان تحصيله عبر فترات زمنية طويلة، نظراً لمحدودية القدرات الإنسانية، الطبيعة التراكمية للمعارف الكونية، ويؤكد ذلك أن كافة تلك الآيات الكونية قد جاءت في مقام الاستدلال على طلاقة القدرة الإلهية في إبداع الخلق، وعلى أنَّ الخالق المبدع سبحانه وتعالى قادرٌ على إفناءِ خلقه وإعادتهم من جديد، وهذه الآيات تحتاج إلى تفسير كما يحتاج غيرها من آيات الذكر الحكيم، وهي بحكم طبيعتها لا يمكن أن تُفْهم فهماً دقيقاً في إطار اللغة وحدها، ومن هنا كان إلزاماً على المشتغلين بالتفسير أن يوظفوا كافة المعارف الكونية الصحيحة المتاحة في تفسير تلك الآيات الواردة في كتاب الله عز وجل [2].

ونحن في هذا المطلب نسلط الضوء على نتاج الشيخ رشيد الخطيب الموصلي في هذا الباب باعتبار أنه تناول هذه الآيات بأسلوب عصري يتوافق مع توظيف الحقائق العلمية خدمةً للقرآن الكريم، وسيكون الكلام فيه عن الآيات التي تضمنت بعض الحقائق العلمية حول الإنسان والكون.

---

1 زغلول راغب النجار، الأرض في القرآن الكريم، بيروت: دار المعرفة، 2005م، ص16.

2 زغلول راغب النجار، الأرض في القرآن الكريم، ص33.

المطلب الأول: ظاهرة البرق واشتمالها على عملية الصعق الكهربائي.

قال الشيخ رشيد الخطيب الموصلي وهو يشير إلى هذه الظاهرة في معرض تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَإِذ قُلتُم يَا موسىٰ لَن نُؤمِنَ لَكَ حَتّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهرَةً فَأَخَذَتكُمُ الصّاعِقَةُ وَأَنتُم تَنظُرونَ**﴾ [البقرة: 55]، قال الشيخ: "وذلك أن طائفةً منهم قالوا: لماذا اختص موسى وهارون بكلام الله تعالى دوننا؟! وانتشر هذا القول في بني إسرائيل، وتجرأ جماعة منهم بعد موت هارون، وهاجوا على موسى وبني هارون وقالوا لهم: إن نعمة الله على شعب بني إسرائيل هي لأجل إبراهيم وإسحاق، فتشمل جميع الشعب، وقالوا لموسى لست أفضل منا، فلا يحق لك أن تترفع وتسود علينا بلا مزية، وأننا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً يريدون حالة تكليمه لموسى فأخذهم إلى خيمة العهد فانشقت الأرض وابتلعت طائفة منهم وجاءت نار من الجانب الآخر واخذت الباقين وهذه النار هي المعبر عنها بالصاعقة وهل ثم من نار غير الاشتعال بالكهرباء وهو ما تحدثه الصاعقة التي تحدث الانشقاق بالأرض أيضاً" [1].

إن مما تقرر في العلوم التجريبية أن الصواعق التي تحدث على الأرض إنما هي نتيجة استفراغ كهربائي ناتج عن التقاء شحنتين مختلفتين إيجاباً وسلباً [2].

فالصواعقُ ظاهرةٌ تصاحبُ البرق والرعد، وهي ذات أثر فعال قاتل للنفس، ولذا كان الرسول محمد ﷺ إذا سمع صوت الرعد والصواعق يقول: «اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك»[3].

فعند حدوث البرق مباشرةً تنساب من السحب المشحونة كهربائياً موجات متتالية ذات شحنات كهربائية سالبة تتجه صوب سطح الأرض في خطوط متكسرة بسرعة فائقة، وعندما تقترب هذهِ الموجات الكهربائية من سطح الأرض فتكون على ارتفاع ثلاثين متراً تقريباً تتأثر المباني العالية بالمجال الكهربائي لهذهِ الموجات التي تدخل في نطاق تفاعلها فتتفاعل مع الموجات الموجبة الصاعدة من سطح الأرض مع الهواء الساخن، وينتج عن ذلك حدوث الصعق [4]. وهذا عين ما أشار إليه الشيخ رشيد الخطيب في كلامه المتقدم.

1رشيد الموصلي، تفسير أولى ما قيل، 98/2.

2 فهد خليل زايد، الإعجاز العلمي البلاغي في القرآن الكريم، عمان، دار النفائس، 2008م، ص38.

3 أخرجه محمد بن عبد الله الضبي الطهماني المعروف بالحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م، من حديث سالم بن عبيد النخعي،318/4، حديث رقم 7772، 318/4، صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

4 ماهر أحمد الصوفي، آيات الله في الرياح والمطر والأعاصير والبراكين والزلازل، بيروت: المكتبة العصرية، 2007م، ص621.

المطلب الثاني: حقيقة المادة التي تكونت منها السماوات.

قال الشيخ رشيد الخطيب الموصلي في معرض تفسيرهِ قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ استَوىٰ إلى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ**﴾ [فصلت:11]، قال رحمه الله تعالى: (ويظهر والله أعلم أن المراد بالدخان، طور السديم الذي يقررهُ علماء الفلك والطبيعة في أنهُ مادة الكون، ويقولون: إنهُ أصل مادة السماوات والأرض) [1].

وفي موضع آخر في تفسيرهِ لقولهِ تعالى: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ**﴾ [البقرة: 210]، قال الشيخ: "ويحتمل أن يراد بالغمام سحيق الأجرام أو المادة السديمية التي تكونت منها السماوات، وهي ما عبر عنهُ في بدء التكوين بالدخان، فإن مادة التكوين تعودُ بعد الانحلال إلى ما كانت قبل التكوين والله أعلم" [2].

إن من بديهيات العلم أن لكل شيءٍ مخلوق بدايةً في الإيجاد وخالقٌ أوجده، وكل النظريات التي تقول بخلاف ذلك تلاشت وانقرضت مع مرور الزمن، في الوقت الذي طرحت فيه عدة نظريات علمية لتوضيح قريب لحقيقة التكوين الأولي الذي نشأ بموجبه الكون، وإن أقرب هذه النظريات عقلاً وتوافقاً للإشارات النصية في الوحي هي نظرية الانفجار الكبير [3].

وتعد هذهِ النظرية أوفق النظريات وأكثرها واقعية وتكاد تكون النظرية التي قضت على جميع نظريات الملاحدة من الوجوديين والطبيعيين الذين يقولون إن الطبيعة أوجدت نفسها بِنفسها [4].

ولقد كان علماء الفلك والفيزياء حيارى إلى عهد قريب في الأصل الذي يشكل المادة التي تكون منها الكون حتى اهتدوا إلى أنها الدخان، وهي مادة سديمية [5] مظلمة، ليوافقوا لفظ القرآن بنصهِ، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ استَوىٰ إلى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَلِلأَرضِ ائتِيا طَوعًا أَو كَرهًا قالَتا أَتَينا طائِعينَ**﴾ [فصلت: 11]، فلم يعبر النص القرآني بلفظ الهباء، لأن الهباء ذرات صلبة، ولا بلفظ البخار، لأن البخار جسم متميع سائل، ولا

---

1 رشيد الموصلي، تفسير أولى ما قيل، 355/6.

2 المصدر نفسه، 305/2.

3 الانفجار الكبير: هي نظرية في علم الكون الفيزيائي نشأت لتفسير نشأة الكون وتعتمد فكرة النظرية هذه على أن الكون كان في الماضي في حالة حارة منصهرة شديدة الحرارة شديدة الكثافة فتمدد وانفجر فتبعثرت أجزاءه مشكلة هذا العالم؛ رأفت فياض، وعبد الواحد أبو مسامح، مجلة ناسا بالعربي، (عدد تموز لسنة 2015م، ص24.

4 ماهر أحمد الصوفي، آيات الله في الموت ونهاية الكون وقيام الساعة، (بيروت: المكتبة العصرية، 2007م، ص81.=

5 ماد سديمية: السَدِيْم (الجمع: سُدُم في الفلك، هي أجرام سماوية ذات مظهر منتشر غير منتظم مكون من غاز متخلخل من الهيدروجين والهيليوم وغبار كوني؛ سديم/ https://ar.wikipedia.org .

بلفظ الهواء لأن الهواء جسم غازي، وإنما بلفظ الدخان الذي هو مادة الكون الأولى وهي التي تحدث العناصر الثلاثة المتقدمة [1].

ففي الوقت الحالي هناك شبه اتفاق بين العلماء على المادة التي تكونت منها السماوات والأرض، فالنظرية الرئيسية السائدة اليوم أنّ أصل تكون الكون من مادةٍ سديمية مثل الدخان، وتبعاً لهذه النظرية والصياغة الجديدة فإن المجموعة الشمسية تكونت من سحابةٍ كبيرةٍ من الدخان والغاز، كروية الشكل تدور ببطيء مكونة ما يعبرُ عنهُ بالسديم [2].

وفي نوفمبر 1989م أرسلت وكالة الفضاء الأمريكية ناسا مركبة فضائية، حيث أرسلت ملايين الصور والمعلومات إلى الأرض والتي تُظهر آثار الدخان الأول الذي جاء عن عملية الانفجار الكبير للدنيا، وهي حالة دخانية عتمة سيطرت على الكون قبل تكوين الأرض والسماوات [3]. وهذه المعاني هي التي أشار اليها الشيخ رشيد الخطيب آنفاً كما بيناه في أول المطلب.

المطلب الثالث: سعة السماء الدنيا.

قال الشيخ رشيد الخطيب الموصلي متكلماً عن سعة السماء: "إن ما نراهُ من الأجرام العلوية إنما هو القريب منا والذي تحت نظرنا، وإن ما نبصرهُ بالنسبةِ إلى ما لا نبصرهُ قليلٌ من كثير، وإن أرباب الفن على دوام اجتهادهم في تحسين الآلات بغية زيادة الاطلاع على العالم العلوي بنجومه ونظامهِ يعترفون بان ما أطلعوا عليه وسيطلعون عليه ما هو إلا قطرة من بحر، وإنما ينظر بالبصر من نجوم السماء هو ثلاثة ألاف نجم فقط، مما لا يحصى عدداً من ملايين ملايين الملايين" [4].

وقال في موضع آخر: "وقد بين العلمُ في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي أن هذه النجوم في حركة دائمة، فقد كان قبل ذلك يعتقدون أن هذه النجوم ثوابت لا حركة لها، وقد وجد الفلكيون أن معدل حركة النجوم هذهِ تقدر بمئات الملايين من الأميال في السنة، وأن هذا الفضاء أوسع مما يتصوره الإنسان، مهما شطَّ به الفكر وحلق به الخيال" [5].

---

1 فهد خليل زايد، الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، ص 109.

2عبد العليم عبد الرحمن خضر، الطبيعيات والإعجاز العلمي، (جدة: دار السعودية، 1986م، ص56.

3هبة سعيد فارس، الإعجاز العلمي في آيات بداية الكون ونهايته، غزة: منشورات الجامعة الإسلامية، 2011م، ص38.

4رشيد الموصلي: تفسير أولي ما قيل، 446/7.

5رشيد الموصلي: تفسير أولي ما قيل، 229/2.

يشير القرآن الكريم في عدد من آياتهِ إلى الكون بكل مكوناتهِ من السموات والأرض وما فيهما من الأحياء والجمادات، وإلى مجموعة من الظواهر الكونية المختلفة، وتأتي هذه الآيات في مقام الاستدلال على مطلق القدرة الإلهية وعجز الإنسان أمام هذا الإبداع العظيم [1]، وإن الاستدلال بهذهِ القدرة المطلقة يدفعُنا إلى الإيمان المطلق بأن الإله الخالق الذي أبدع هذا الكون بعلمهِ وحكمتهِ وقدرتهِ، قد راعى بعرضه للآيات القرآنية حدود العقل البشري، فهنالك آيات لو نزل تفصيلُها في الصدر الأول لنزول القرآن لما فهمها الناسُ مطلقاً، ولعلّ من جملةِ هذه الآيات قولهُ تعالى: ﴿**وَٱلسَّمَاءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْد وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ [الذاريات: 47]، ففي هذه الآية من الإعجاز العلمي ما تحيرَ لأجله العلماء، فهي تشير إشارةً واضحةً على سعة السماء وتمدد الكون [2].

فإن اتساع الكون هو الحدث الأعظم المكتشف في العلم الحديث، فكان الفكر السائد عند العلماء حتى بداية القرن العشرين، أن الكون ثابت لا يتغير، ولم يكن لأحدِ أن يتخيل بأن حجم الكون يتسع ويكبر باستمرار وبقيت هذهِ النظرية سائدةً إلى النصف الأول من القرن العشرين [3]، حيث تم اختراع أجهزة دقيقة قادرة على تحليل الضوء القادم من النجوم البعيدة، فكانت المفاجأة التي أذهلت العالم، فاكتشف العلماء عن طريق التلسكوب المكبر أن تحليل الطيف الضوئي [4]، القادم من النجوم البعيدة يميل نحو اللون الأحمر وفي هذا دلالة على أن هذهِ النجوم تبتعد عنا شيئاً فشيئاً بسرعات كبيرة ومسافات كبيرة قد تصل إلى ألاف الكيلومترات في الثانية [5]، وتفسير هذهِ الظاهرة باختصار أن لون الطيف الضوئي له حالتان:

الحالة الأولى: إذا كان النجم ثابتاً ويقترب منا فإن الطيف الضوئي في هذِه الحالة ينحرف نحو اللون الأزرق باتجاه الأمواج القصيرة الضوء.

الحالة الثانية: أما إذا كان النجم يبتعد عنا فإن الطيف الضوئي الصادر عنهُ ينحرف نحو اللون الأحمر باتجاه الأمواج الطويلة للضوء.

---

1 ينظر: زغلول النجار: السماء الدنيا في القرآن الكريم، ص75.

2 ينظر: ماهر أحمد الصوفي: آيات الله في الموت ونهاية الكون، ص94.

3 ينظر: زغلول النجار: السماء الدنيا في القرآن الكريم، ص85.

4 هو إشعاع كهرومغناطيسي ذو طول موجي، يمكن للعين البشرية أن تراه إذا وقع طول موجته ما بين 750- 370 نانومتر، وتبدأ رؤية الطيف الضوئي عند اللون البنفسجي وينتهي عند اللون الأحمر، ينظر: مجله ناسا بالعربي، تحرير: رأفت فياض، وعبد الواحد أبو مسامح، العدد9/ أيلول لسنه 2017م، ص9.

5 ينظر: زغلول النجار: السماء الدنيا في القرآن الكريم، ص85.

والنتيجة التي توصل إليها علماء الفلك أن معظم المجرات البعيدة حولنا تهربُ مبتعدةً عنا بسرعة كبيرة ولذلك نجد ضوءها منحرفاً نحو اللون الأحمر [1].

يقول العالم الفرنسي موريس بوكاي [2]: "إن اتساع الكون هو الحدث الأعظم المكتشف من قبل العلم الحديث، وإنه لمفهومٌ أكيدُ الثبوت" [3].

فإن تمدد الكون وسعة السماء يُعد أعظم ظاهرةً اكتشفها العلم الحديث، ولقد أصبح هذا التوسع مفهوماً ثابتاً وحقيقة لا جدل فيها، لدرجةِ أن المناقشات العلمية تدور فقط حول الطريقة التي يتم بها هذا التوسع أو التمدد [4].

هذه الحقيقة العلمية قد أشار إليها القرآن منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، فالكون يتسع بشكل متسلسل دائم، فهو مستمرٌ في النمو والاتساع ولا يتوقف ولو للحظةٍ واحدة [5].

المطلب الرابع: طبيعة العلاقة بين السماء والأرض.

قال الشيخ رشيد الخطيب الموصلي في تفسيرِهِ لقوله تعالى: ﴿**أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَا**﴾ فقال رحمه الله: "أي كانتا شيئاً واحداً ففصلناهما...، وهو مطابق للنظرية الحديثة القائلة بأن الأجرام السماوية كُلها كانت جرماً سديماً واحداً فانفصل بالدوران والحركة على تمادي الدهر" [6].

أثبت علم الفلك الحديث بعد أكثر من ألف وأربعمائة سنة من نزول القرآن أن السماوات والأرض كانتا متصلتين، كتلة واحدة ثم وقع الانفصال بينهما، فتكونت السماوات التي تظلنا، والأرض التي تقلُنا، وهذهِ الكتلة العظيمة كانت قبل انفصالها عبارة عن ذرات وجزيئات غازية ﴿**ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ**﴾ [فصلت: 11]، وقد أثبت العلماء أن مادة الكون الأولى هي

---

1 ينظر: عبد الدائم الكحيل: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، 87/14.

2 هو طبيب فرنسي ولد عام1920م، من أبوين مسيحيين وكان على المذهب الكاثوليكي، عمل في السعودية كطبيب شخصي للملك فيصل آل سعود، فتأثر بالمجتمع الإسلامي ثم توجه لدراسة الكتب المقدسة عند اليهود والمسلمين والمقارنة بين قصه فرعون في اليهودية والقرآن، وقاده ذلك إلى الإسلام وألف كتاب (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث وغيره، توفي في باريس سنه 1998م. ينظر: موقع طريق الاسلام على شبكه النت، تاريخ النشر2003/7/17م.=

3= ينظر: موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة: حسن خالد، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1990م،ص220.

4 ينظر: منصور محمد حسب النبي: القرآن الكريم والعلم الحديث، ط1، منشورات جامعة القاهرة- مصر (د.ت، ص 245.

5 ينظر: فهد خليل زايد: الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، ص52.

6رشيد الموصلي: تفسير أولى ما قيل، 165/5- 166.

الأيدروجين خلقت في الوجود من عدمٍ مطلق، بطريقٍ لا يمكن للعلم أن يعرف عنها شيئاً، أو يدري بظروفها أو يعلم بمكانها، وهذا ما يدعونا إلى الاعتراف بفكرة الخلق [1].

وقد صرح القرآن الكريم منذ القدم بحقيقة أثبتها العلم اليوم بما يسمى بنظرية الانفجار العظيم، يقول الله تعالى: ﴿**أولم يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضَ كَانَتَا رَتقا فَفَتَقنَٰهُمَا وَجَعَلنَا مِنَ ٱلمَاءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤمِنُونَ**﴾ [الأنبياء: 30].

فنظرية الانفجار العظيم تفترض أن الموجودات الكونية من مجرات وغازات، وسحب الغبار الكوني، كانت مندمجة معاً في الماضي السحيق على هيئة كتلةٍ مركزية شديدة الكثافة، ثم انفجرت هذهِ الكتلة فجأةً وتطايرت أشلاؤها مكونةً السماوات والأرض [2].

قال البيضاوي [3] في تفسيرهِ: "كانتا رتقاً أي ذات رتق أو مرتقتين، وهو الضم والالتحام، أي كانتا شيئاً واحداً وحقيقة متحدة ففتقناهما بالتنويع والتمييز" [4].

المطلب الخامس: ظاهرة انحسار الأوكسجين في طبقات الجو العليا.

أشار الشيخ رشيد الخطيب الموصلي في تفسيره للآية السابقة: ﴿**كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَاءِ**﴾ إلى نفس هذا المعنى فقال: "وفي قوله: ﴿**كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَاءِ**﴾ دلالةٌ على نظرية ضغط الهواء، إيذاناً بأن طبقاتهُ تقلُ كثافتها كلما بَعُدت عن الأرض، فيجد المرتفع حراجة في صدره إذا وصل إلى الطبقات العليا لقلة مادة الأوكسجين، وهذهِ الحقائق لم يهتد إليها العلم إلا بعد مئات السنين، وهذا من جملة الأدلة الكثيرة الدالة على أن القرآن الكريم تنزيلٌ من رب العالمين" [5].

---

1 ينظر: عبد السلام حمدان: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص167.

2 ينظر: هبة سعيد: الإعجاز العلمي في آيات بداية الكون ونهايته، ص29.

3 البيضاوي: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي ناصر الدين البيضاوي، إمام من أئمة التفسير شغل منصب القضاء في شيراز، ثم ترك القضاء ورحل إلى تبريز، وهو أمام مفسر أصولي له تصانيف نافعة منها منهاج الوصول إلى علم الأصول، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل في تفسير القرآن، وغيرها من المصنفات النافعة، توفي بتبريز سنة (685هـ، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت:771هـ، تحقيق: محمود الطنطاوي وعبد الفتاح الحلو، ط2، دار هجر للطباعة، بيروت- لبنان، 1993م، 157/8. =

4= ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي: انوار التنزيل واسرار التأويل، (ت: 685هـ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ، 50/4.

5رشيد الخطيب الموصلي: تفسير أولى ما قيل، 369/3.

فالإنسان إذا صعد في طبقات الجو العليا فإنه يتعرضُ لمشكلاتٍ عدة منها صعوبة التنفس لنقص الأوكسجين وتناقص الضغط الجوي، وهذا مرض يسميه المتخصصون في طب الطيران بمرض عوز الأوكسجين، وتحت هذا المرض العارض لا يستطيع جسم الإنسان القيام بوظائفه الحيوية، فتبدأ في التوقف، الوظيفة تلو الأخرى وهو معنى ضيق الصدر في الآية [1].

بعد أنْ تمكن الإنسان من الطيران والصعود إلى السماء والارتفاع إلى طبقات الجو العليا، اكتشف أنه كلما ارتفع إلى الأعلى قل الأوكسجين والضغط الجوي، مما يتسبب ضيقاً شديداً في الصدر، وتصعب عليه عملية التنفس [2].

فالحقيقة العلمية الثابتة هي أن الهواء تتناقص كثافتهُ سريعاً كلما ارتفعنا فوق سطح الأرض، إذ إن 99% من كتلة الهواء توجد في الطبقة الأولى الممتدة على نحو 12 كيلو متر فوق سطح البحر، وأن أكثف كتلة للهواء تتركز في الستةِ كيلو مترات الأولى، ثم تبدأ هذه الكتلة تتناقص تدريجياً كلما ارتفعنا عن مستوى سطح البحر حتى يصل في الطبقات العليا إلى انعدام الأوكسجين وانخفاض الضغط الجوي مما قد يؤدي إلى الاختناق والموت [3].

وجاء في الموسوعة الأمريكية ما ترجمتهُ: "يجب على الطائرة إذا كانت على علو شديد الارتفاع، أن تحافظ على مستوى معين من الضغط الداخلي لحماية الركاب، فإن الضغط الجوي في تلك الارتفاعات يكون أدنى بكثير من الحد المطلوب لتأمين الأوكسجين الكافي لبقاء الركاب على قيد الحياة" [4].

فإن اختلال الضغط الجوي له مخاطر عظيمة على جسم الإنسان، إذ بخلافهِ تتمدد كل الغازات في جسم الإنسان مما ينتج عنهً تمزق الأنسجة وتلف الأجهزة، فتتهتك الرئتان، ويتهتك القولون، وتتهتك الأذن الوسطى، وبانخفاضهِ يشعر الإنسان بآلام شديدة في البطن قد لا تحتمل والآم في المفاصل، والآم في الأذن والرأس، مما يؤدي إلى الإعياء وفقدان الوعي، وهذه الأعراض وغيرها لا تشعر بها وأنت تسافر بالطائرة؛ لأن أجهزة الطائرة قد ضغطت الهواء ثمانية أضعاف ليكون الضغط الجوي ونسبة الأوكسجين داخل الطائرة موافق لما هو عليه في

1 ينظر: زغلول راغب النجار: السماء في القرآن الكريم، ط4، دار المعرفة، بيروت– لبنان، 2007م، ص403.

2 ينظر: عبد المجيد الزنداني: توحيد الخالق، ط1، دار النفائس، عمان– الأردن، ص240.

3 ينظر: عبد السلام حمدان اللوح: الإعجاز العلمي في القرآن، ص173.

4 الموسوعة العلمية الأمريكية: دولة الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي، المجمع الثقافي، 241/12.

سطح الأرض، فلو تعطلت أجهزة الضغط فجأةً في الجو، لمات الركاب جميعاً، وعندها فلا بد للطيار إن شعر بشيء من هذا القبيل أن يهبط اضطرارياً لئلا يموت الركاب[1].

وهذا عين ما أخبرت به الآية الكريمة قبل طيران الإنسان بثلاثة عشر قرناً من الزمان، قال تعالى: ﴿**فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهدِيَهُۥ يَشرَح صَدرَهُۥ لِلإِسلَٰمِ وَمَن يُرِد أَن يُضِلَّهُۥ يَجعَل صَدرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤمِنُونَ**﴾ [الأنعام: 125].

المطلب السادس: ضرورة الغلاف الجوي في حفظ الحياة على الأرض.

أشار الشيخ رشيد الخطيب الموصلي في تفسيره ضرورة الغلاف الجوي في حفظ الحياة على الأرض قائلاً: "ومن مثل ذلك ما يقول علماء الطبيعة من أن جو الأرض يمنع النيازك من الفتك بنا، لأنها تتبخر- من احتكاكها بالهواء- كلها أو معظمها إلى دخان أو تراب دقيق قبل أن تصل الأرض" [2].

وكان كلامه هذا في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿**لَهُۥ مُعَقِّبَٰت مِّن بَينِ يَدَيهِ وَمِن خَلفِهِۦ يَحفَظُونَهُۥ مِن أَمرِ ٱللَّهِ**﴾ [الرعد: 11]، فهو يشير إلى جملة الأسباب الخفية التي يحفظ الله بها الإنسان على الأرض دون أن يشعر بها أو يعلمها، والتي من جملتها الغلاف الجوي، أو ما عبر عنهُ هو بجو الأرض.

يُعدّ الغلاف الجوي من أهم الأسباب لحفظ الحياة على كوكب الأرض، حيث يعمل الغلاف الجوي على حفظ جميع الكائنات الحية على سطح الأرض من الهجوم الدائم للشهب والنيازك والأشعة فوق البنفسجية، والأشعة السينية الخطيرة التي تصل من الشمس ومن النجوم الأخرى [3].

فالغلاف الجوي من أعظم النعم التي أنعم الله بها على البشر، فهو كالسقف يحفظنا من الأشعة الكونية الضارة، كما أنهُ يحافظ على كمية الأوكسجين الكافية واللازمة لاستمرار الحياة على الأرض، ويقوم بمعادلة الحرارة القادمة من الشمس وتخزينها بنسبة معتدلة تسمح بممارسة الحياة على كوكب الأرض، ولولا الغلاف الجوي لأصبحت الأرض كالقمر الذي تتفاوت فيه درجات الحرارة بشكل كبير ما بين أكثر من مائة درجة على أحد وجهيهِ وأقل من مائة درجة تحت الصفر على الوجه الآخر، فكأن هذا الغلاف بالنسبة للأرض كالسقف المحفوظ الذي يحمينا من الرياح الشمسية القاتلة، والأشعة الكونية المدمرة، ومن ملايين الأحجار النيزكية التي تهوي على

---

1 ينظر: ماهر أحمد الصوفي: آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية، ط1، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، 2007م، ص 128.

2رشيد الموصلي: تفسير أولى ما قيل، 357/4.

3 ينظر: ماهر أحمد الصوفي: آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية، ص130.

الأرض كل يوم، لتعلم عظم النعمة التي لا يشعر بها أكثر الخلق، إذ لولاها لما استقامت الحياة على وجه الأرض [1].

المطلب السابع: كيفية تكوين السُّحب.

قد فصل الشيخ رشيد الموصلي في تفسيرِهِ هذه الحقيقة العلمية لتكوّن السحاب حيث تكلم عن قوله تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلبَرقَ خَوفا وَطَمَعا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ**﴾ [الرعد: 12]، قائلاً: "إذ هي من عظمى الآيات الكونية، يعلمها المتخصصون في هذا الفن، وكيف تثور الأعاصير من البحار بواسطة ناموس الحرارة، وتنتشر الأبخرة في الأجواء، ويطرأ عليها من التطور والتفاعل ما يجعلها ماءاً ثجاجاً بقدرة الله العظيمة في سننهِ المطردة في ذلك" [2].

ثم قال في موضع آخر: "وقد تحقق في العلم الطبيعي أنه حيثما يسخن الهواء القريب من سطوح البحار وغيرها بتأثير الحرارة، يرتفع في الجو ويبرد لوصولهِ إلى منطقة باردة، أو لامتزاجه بتيار الهواء البارد، فإذا برد تكاثف منه بخار الماء وتكون السحاب، وسار مدفوعاً بقوة الهواء، فيتراوح بعدهُ عن الأرض بين ميل وعشرة أميال" [3].

سخر الله عز وجل الرياح والسحاب وجعلهما جزءاً هاماً في استكمال دورة الماء في الطبيعة وقد لخص العلماء دور الرياح في تكوين السحب والأمطار، فقالوا: تقوم الرياح بحمل المياه المتبخرة، ودفع الهواء الرطب إلى أعلى، حيث يبرد في طبقات الجو العليا ويحدث التكثيف فتنتج السحب، كما أن الرياح لها قدرة على دفع الهواء الدافئ الرطب، فتسوقه إلى مناطق أبرد حيث يتم التكاثف وتحدث السحب، كما أن هذه السحب تكبر وتزداد حجماً، كلما حملت إليها الرياح مزيداً من الهواء الرطب [4].

وهذا عين ما أخبرت به الآيات القرآنية، ومنها قوله تعالى: ﴿**ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرسِلُ ٱلرِّيٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابا فَيَبسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَاءِ كَيفَ يَشَاءُ وَيَجعَلُهُۥ كِسَفا فَتَرَى ٱلوَدقَ يَخرُجُ مِن خِلٰلِهِۦ فَإِذَا أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِۦ إِذَا هُم يَستَبشِرُونَ**﴾ [الروم: 48].

---

1 ينظر: عبد الدائم الكحيل: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنه المطهرة، 290/14.

2رشيد الخطيب الموصلي: تفسير أولى ما قيل، 358/4.

3 المصدر نفسه، 335/5.

4 ينظر: هبة سعيد فارس: الإعجاز العلمي في آيات الكون ونهايته، ص109.

قال الإمام الطبري: "الرياح أربع: يبعث الله الريح الأولى فتُقّم الأرض قماً، ثم يبعث الثانية فتنشئ سحاباً، ثم يبعث الثالثة فتؤلف بينهُ فتجعله ركاماً، ثم يبعث الرابعة فتمطرهُ" [1].

فالسحاب إذاً هو بخار الماء المتكاثف في طبقات الجو العليا، ولا بد لتكوينه من وجود حرارة الشمس التي تبخر ماء البحر فيصعد إلى السماء ماءً عذباً لا ملوحة فيه مع أن ماء البحر ماءٌ مالحٌ، ولكن الله يبخر الماء من البحر بفعل حرارة الشمس تاركاً خلفه ملح البحر، لينزل بعد ذلك ماءً فراتاً، قال تعالى: ﴿**أَفَرَءَيتُمُ ٱلمَاءَ ٱلَّذِي تَشرَبُونَ ۞ ءَأَنتُم أَنزَلتُمُوهُ مِنَ ٱلمُزنِ أَم نَحنُ ٱلمُنزِلُونَ ۞ لَو نَشَاءُ جَعَلنَٰهُ أُجَاجا فَلَولَا تَشكُرُونَ**﴾ [الواقعة: 68-70] فإذا تسخن الماء بفعل حرارة الشمس، جاء دور الرياح في رفع هذا الماء المبخر إلى فوق مستوى الجبال قال تعالى: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِي يُرسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشرَا بَينَ يَدَي رَحمَتِهِۦ حَتَّىٰٓإِذَا أَقَلَّت سَحَابا ثِقَالا سُقنَٰهُ لِبَلَد مَّيِّت فَأَنزَلنَا بِهِ ٱلمَاءَ فَأَخرَجنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخرِجُ ٱلمَوتَىٰ لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: 57]، فلا تزال الرياح تدفع البخار المتصاعد إلى طبقات الجو العليا حيث تنخفض هنالك درجات الحرارة فيتكاثف البخار مشكلاً السحب [2].

ومن حكمة الله تعالى أن جعل الطبقات العليا في الجو شديدة البرودة، فكلما ارتفعت عن مستوى سطح البحر تناقصت درجات الحرارة حتى تصل إلى أدنى مستوياتها في طبقات الجو العليا، علماً أن المنطق يفترض أنه كلما ارتفع الإنسان إلى الأعلى اقترب من الشمس فكان من المفروض أن تزداد درجة حرارة الجو لا أن تنخفض كما هو متوقع في حقيقة الحال، لكن الله تعالى جعل الأمر معكوساً، فكلما ارتفعنا باتجاه الأعلى انخفضت درجة الحرارة إلى مسافة بضعة أميال وذلك لكي يسكن الماء الذي خرج من البحر ولا يستمر تصاعدهُ حتى لا يتبدد في أعماق السماء، قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءَ بِقَدَر فَأَسكَنَّٰهُ فِي ٱلأَرضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ**﴾ [المؤمنون: 18]، فجرت سنة الله برفع الماء عذباً من البحار فترفعهُ الرياح إلى طبقات الجو العليا حيث تنخفض الحرارة، ويتكاثف البخار فيكون سحباً فتسوقه الرياح حيث يشاء الله، فيسقي من يشاء به من عبادهِ [3]، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِي يُرسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشرَا بَينَ يَدَي رَحمَتِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَا أَقَلَّت سَحَابا ثِقَالا سُقنَٰهُ لِبَلَد مَّيِّت فَأَنزَلنَا بِهِ ٱلمَاءَ فَأَخرَجنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخرِجُ ٱلمَوتَىٰ لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: 57].

---

1 تفسير الطبري، 201/19.

2 ينظر: عبد المجيد الزنداني: كتاب التوحيد، ط3، دار المجتمع للنشر، جدة- المملكة العربية السعودية، 1987م، ص31.

3 ينظر: الزنداني: كتاب التوحيد، ص32.

المبحث الثاني: التفسير العلمي لآيات الفلك

المطلب الأول: حركة النظام الشمسي.

بين الشيخ رشيد الخطيب الموصلي وأشار إلى حقيقة الحركة في النظام الشمسي إليها كما في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَلَا أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ۝ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ**﴾ [التكوير: 15-16]، فقال رحمه الله: "الجواري: جمع جارية وقيل المراد بها السيارات الخمسة [1]، وهي عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل، وذلك لأنها تجري مع الأرض حول الشمس، ثم ترى راجعة إذا سبقتها الأرض، ولأنها تظهر في وقت، وتختفي في آخر لأنها تكون فيه وراء الشمس، فرجوعها في رأي العين هو خنوسها، واختفاؤها هو كنوسها. وقيل: هي الكواكب جميعها، فإنها لا تزال نظر العين جاريةً راجعة علينا بعد مغيب الشمس غائبة عنا بعد طلوعها، وكذلك كثير منها يختفي إذا كانت وراء الشمس، ثم تكرُ فتظهر لنا" [2].

أثبتت النظريات العلمية أن نظامنا الشمسي يتكون من شمسنا هذه والتي تعد مركز النظام الشمسي وكل ما حولها من كواكب [3]، ونجوم [4]، وأقمار [5]، وكويكبات [6]، كلها تدور حول الشمس.

ويعتبر نظامنا الشمسي أحد أنظمة هذا الكون وهي أنظمةٌ تشكلت من مجموعة نجوم كالشمس وغيرها، ويدور حول هذهِ النجوم مجموعة من الكواكب والأجسام الأخرى، وهذا ما يعرف بالنظام الشمسي [7].

ولقد كانت الفكرة السائدة عند علماء الفلك إلى وقت ليس ببعيد أن الشمس ثابتةٌ، وما كان أحد يتصور أن هذا الكون بما فيه من كواكب ونجوم وأقمار إنما هو في حركة دائبة ضمن مدارات ثابتة فهي حقيقة أصبحت

---

1 يقصد بالسيارات الخمس ما كان العلم قد أكتشفه في زمان الشيخ رشيد الموصلي، وقد أكتشف العلم الحديث بقية الكواكب السيارة حتى بلغ عددها تسعة كواكب وهي: عطارد، الزهرة، الأرض، المريخ، المشتري، زحل، وأورانوس، ونبتون، وفي عام 2006م، تم إدراج كوكب جديد وهو بلوتو فيكون العدد الكلي تسعة كواكب سيارة. ينظر: كتاب النظام الشمسي: سناء مصطفى عبده، ط1، المكتبة العلمية للنشر، بيروت، 2010م، ص27.

2رشيد الموصلي: تفسير أولى ما قيل، 150/8.

3 هو جرم سماوي غير مشتعل يدور حول الشمس ومداره مستقر وناتج عن جاذبية خاصة، وله قطر كبير. ينظر: مقال كتبه العالم الأمريكي نيل ديكراس تايسون، مدير قبه هايدن السماوية، مجله الاتحاد الفلكي الدولي في عدد كانون الثاني/ يناير لسنة 2007.

4 هي أجسام هائلة متوهجة وساخنة ينبعث منها الضوء والحرارة ومن أمثلتها الشمس. ينظر: كتاب الكون: دايفيد برجا ميني، ط1، مكتبة لايف العلمية، بيروت، 1971م، ص ٩٣.

5 هو جسم فلكي معتم غير مضيء يدور حول الأرض ويعد خامس أكبر قمر في المجموعة الشمسية وهو أحد توابع الأرض. ينظر: اطلس الكون: باتريك مور، ترجمة: امنة حازم رأفت، ط6، الجمعية الملكية البريطانية، 2002 م، ص71.

6 هي أجرام كونية صلبة وصغيرة جداً يتعذر رؤيتها بالعين المجردة لصغر حجمها ولشدة بعدها عنا، وتنتشر غالباً بين مداري المريخ والمشتري. ينظر: أطلس الكون، باتريك مور، ص 109.

7 ينظر: وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى، مدخل علمي إلى الإيمان، تحقيق: عبد الصبور شاهين، ط1، مكتبة الرسالة، بيروت- لبنان (د.ت، ص194.

اليوم من المسلمات التي لا تقبل الشك [1]، وتجسدها الآية الكريمة: ﴿**لَا ٱلشَّمسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدرِكَ ٱلقَمَرَ وَلَا ٱلَّيلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلّ فِي فَلَك يَسبَحُونَ**﴾ [يس: 40]، فقد أشار القرآن الكريم بأسلوب غير مباشر إلى حركة المنظومة الشمسية، فتطرق إلى حركة الشمس، وحركة الأرض، وحركة القمر، فقال عن الشمس: ﴿**وَٱلشَّمسُ تَجرِي لِمُستَقَرّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقدِيرُ ٱلعَزِيزِ ٱلعَلِيمِ**﴾ [يس: 38]، ثم جمع بينها وبين القمر في الجريان ﴿**وَسَخَّرَ ٱلشَّمسَ وَٱلقَمَرَ كُلّ يَجرِي لِأَجَل مُّسَمًّى**﴾ [الزمر: 5] وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمسَ وَٱلقَمَرَ كُلّ فِي فَلَك يَسبَحُونَ**﴾ [الأنبياء : 33]، وقال تعالى: ﴿**لَا ٱلشَّمسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدرِكَ ٱلقَمَرَ وَلَا ٱلَّيلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلّ فِي فَلَك يَسبَحُونَ**﴾ [يس : 40].

فالشمسُ هذا الجرم العظيم تجري غير ساكنة في مدار ثابت لا يتغير، والكواكب السيارة بما فيها الأرض، تدور حول الشمس مؤلفة عالماً منظماً تبدو أبعاده عظيمة بالنسبة إلى خلقنا البشري، فإن مجرتنا تتكون من عدد هائل من النجوم يصل إلى مئتي مليار نجم موزعة على قرص هائل منتفخ في المركز، تقع شمسنا في طرفيه، وتدور هذهِ النجوم والأفلاك حول مركز المجرة، وتدور فيه الكواكب حول الشمس في مداراتٍ مستقلةٍ لكل واحد منها، بطريقةٍ تشبهُ السباحة في المدار [2].

المطلب الثاني: العلاقة بين الشمس والقمر.

لقد أشار الشيخ رشيد الخطيب الموصلي إلى العلاقة بين الشمس والقمر وذلك في معرض كلامهِ عن قولهِ تعالى: ﴿**وَجَعَلَ ٱلقَمَرَ فِيهِنَّ نُورا وَجَعَلَ ٱلشَّمسَ سِرَاجا**﴾ فقال رحمه الله: "ويفهم من هذا حقيقة الشمس والقمر، وهي أن الشمس جرمٌ مشتعل مضيء، والقمرُ مادة جامدة غير مشتعلة، وإنما تنعكس عليها أشعة الشمس فتُنيرها، كما تفعلُ بالأرض نهارا؛ ويفهم أيضاً أن الضياء يطلقُ على الأشعة الفائضة من الجرم المشتعل، والنور يطلق مَعكس تلك الأشعة، ومعلومٌ أن الأجرام السماوية قسمان: مشتعلة وهي الأقل، وغير مشتعلة تأخذ النور من المشتعلة وهي الأكثر" [3].

ثم بين الشيخ الفائدة من خلقهما فقال: "لولاهما لما كان حياة في حيوان ولا نبات" [4].

---

1 ينظر: محمود حمدي زقزوق: الموسوعة القرآنية المتخصصة، ط1، مكتبة ابن حجر، دمشق- سوريا، 2003م، ص837.

2 ينظر: ماهر أحمد الصوفي: آيات الله في الموت ونهاية الكون، ص115.

3رشيد الموصلي: تفسير أولى ما قيل، 12/8.

4 المصدر نفسه، 458/4.

ورد ذكر الشمس والقمر في القرآن الكريم في مواضع عدة، فقد ذُكرت الشمس في ثلاثين موضعاً، وذكر القمر في خمس وعشرين موضعاً، فالآيات التي تناولت ذكر الشمس والقمر دلت على جملة أمور، منها إثبات حكمة الله في خلقهِ وحسن صنيعه وإبداعهِ في مخلوقاتهِ، فهي تدل على الخلق والإيجاد، وتدل على إثبات المعاد، كما أنها تدل على عظمة الخالق جل جلاله، فعظم المخلوق دليلٌ على عظم خالقهِ [1].

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَوْاْ كَيفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبعَ سَمَٰوَٰت طِبَاقا ١٥ وَجَعَلَ ٱلقَمَرَ فِيهِنَّ نُورا وَجَعَلَ ٱلشَّمسَ سِرَاجا** ﴾ [نوح: 15-16].

فالآيتان المتقدمتان تظهران بعضاً من الحكم التي أوجد الله لأجلها الشمس والقمر، فهما أداة لمعرفة السنين والحساب، وهما مصدران للضياء والنور، حيثُ جعل الله الشمس في النهار ضياءً للكون، ومصدراً للحياة، وإشعاعاً للطاقة والحرارة، وجعل القمر نوراً في الليل يبدد الظلمات، وجعله منازل ليتعرف به عدد السنين والحساب لضبط العبادات للناس كما هو الحساب القمري [2].

ومن خلال ما تقدم يمكن القول إن الشمس والقمر مصدرُ الحياة على الأرض، إذ لولاهما لانعدمت الحياة وما عاش حيوان ولا نبات.

وأما أوجهُ العلاقة بينهما، والحكمةُ في ذكرهما في أكثر آيات القرآن، فإن العلاقة بينهما علاقة الأثر بمؤثرِه، إذ لولا الشمس لما أنار القمر، ولولا الشمس والقمر لما كانت الحياة على الأرض، ولو تأملت قول الله تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمسَ ضِيَاء وَٱلقَمَرَ نُورا** ﴾، وقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ ٱلقَمَرَ فِيهِنَّ نُورا وَجَعَلَ ٱلشَّمسَ سِرَاجا**﴾ تلاحظ أن الله عز وجل عبر عن الشمس بالضياء مرة والسراج أخرى، وعبر عن القمر بالنور للتمييز بينما كان مصدر النور والإشعاع، وبينما كان عاكساً له، فقد أثبت العلم الحديث أن القمر عبارة عن جُرم مظلم، وإنما يضيء بما ينعكس عليه من نور الشمس، فالحقيقةُ العلمية تميز بين الضوء الصادر من جسم مشتعل ملتهب مضيء بذاته في درجات حرارة عالية، وبين الشعاع المنعكس من جسمٍ بارد يتلقى الضوء فيعكسه نوراً [3].

1 ينظر: هبة سعيد فارس: الإعجاز العلمي في آيات الكون ونهايته، ص63.

2 ينظر: عبد العليم عبد الرحمن: الطبيعيات والإعجاز العلمي، ص 127.

3 ينظر: زغلول النجار: السماء في القرآن الكريم، ص505.

وهذا ما عبر عنهُ القرآن الكريم بنصهِ فسمى الشمس ضياءً وسراجاً وسمى القمر نوراً، فالسراج يبعث النور والوهج (الإضاءة والحرارة)، والنور يضيء بما يعكسه من أنوار، إذ النور لا يكون من ذات نفسهِ ابتداءً، ولا بد له من مصدر يبعثهُ، ولذلك ذكر السراج بعد ذكر النور دليل على أن هذا مصدره ذاك [1].

المطلب الثالث: دقة التوازن في النظام الشمسي.

قال الشيخ رشيد الخطيب الموصلي في معرض كلامه عن دقة هذا النظام البديع: "ثم بين دقة الإتقان والإحكام في النظام الشمسي، فقال: ﴿**لا ٱلشَّمسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدرِكَ ٱلقَمَرَ**﴾ فيصطدما، ﴿**وَلَا ٱلَّيلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ**﴾ على الأرض، ﴿**وَكُلّ فِي فَلَك يَسبَحُونَ**﴾ فلا يصطدم واحد بآخر، ولا يخلُّ بنظامهِ فيسبقهُ، حتى قال بعض الفلكيين: لو طار في فضاء جو الأرض كله عشر نحلات فقط، لكان تصادمُ اثنين منها أقرب من احتمال تصادم نجمين من هذهِ النجوم التي لا يحصيها العدُّ في فضاء السماء؛ لسعة ذلك الفضاء وامتداده، وبُعد كلٌّ منهما عن الأخرى فيه، فتعالى الله العلي القدير؛ أقول: وقد استقر كلُّ كوكب منها في موضعهِ ومدارهِ، وحفظت النسبة بينهُ وبين غيرهِ بسنن كونية أوجدها القادر الحكيم، ولولا هذهِ السنن وهذا النظام لتفلتت هذهِ الكواكب السابحة، وَصَدَمَ بعضها بعضاً، وفني العالم، جلت قدرة الله وعظمتهُ وحكمتهُ البالغة، ولا إله غيره، ولا رب سواه، وهذه الآية تقريرٌ لإتقان النظام ونفيٌ لاختلالهِ، واستدل على ذلك النفي باستمرار هذهِ الصورة الناجمة منه على حلها مع مرور الدهور والأحقاب التي لا تحصى ولا يكون التصادمُ إلا يوم القيامة والله أعلم" [2].

وقال في موضع آخر: "والشمس والقمر والنجوم مسخرات في نظام عظيم محكم الضبط والإتقان بأمرهِ تعالى وتدبيره، ... فلا مثيل له في تنظيم خلقهِ وإحكام صنعتهِ، وتدبير أمرهِ وإتقانِ تشريعه، ﴿**تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلعَٰلَمِينَ**﴾ [الأعراف: 54]، أي تكاثر خيرهُ وتعالى شانهُ، وقد أشار سبحانه بقوله: ﴿**أَلَا لَهُ ٱلخَلقُ وَٱلأَمرُ**﴾ [الأعراف: 54]، أي: إن شريعتهُ في الإتقان كنظامهِ في الأكوان" [3].

إن نظامنا الشمسي الذي نعيش فيه يسير وفق آليةٍ دقيقة للغاية في تناسق عجيب لا يقدر قدرهُ إلا خالقهُ جل جلاله، فقوانين التناسق العلمي ما بين الأجرام السماوية في نظامنا الكوني ضُبطتْ بحسابٍ دقيق حدد من

1 ينظر: عبد السلام اللوح: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص122.

2رشيد الخطيب الموصلي: تفسير أولى ما قيل، 175/6.

3رشيد الخطيب الموصلي: تفسير أولى ما قيل، 437/3.

خلالهِ الأبعاد بين الشمس والقمر والنجوم والأرض بشكل لو انحرفت إحداهما عن مسارها بزيادة أو نقص لأدى إلى اصطدام أحدهما بالآخر ونتج عنه خراب هذا الكون [1].

فإن تباعد الأجرام السماوية على مسافات كبيرة متناسقة ومتناسبة هو الذي يؤلف أساس نظام التوازن بينهما، فالله عز وجل هيَّأ السماء والأرض وجعلهما بتدبيرهِ الذي يربط بينهما مُسخراً بيّنا لخدمة الكائن الحي على سطح الأرض، فإن الشمس تجري والأرض تدور حول محورها وهي تجري حول الشمس، فلو زادت سرعة الدوران هذهِ عما هي عليه اليوم لتناثرت الأشياء من على سطح الأرض، وتطاير من عليها من حيوان أو إنسان، ولو أبطأت قليلاً عما هو عليه اليوم لهلكت الكائنات نتيجة اختلال مستويات الحرارة والبرودة، ولو كان الهواء المحيط بالأرض أعلى قليلاً مما هو عليه اليوم لأحرقت الشهب الأرض ومن عليها، ولو هبط الهواء قريبا من سطح الأرض لزاد الضغط الجوي إلى الحد الذي يعجز فيه الإنسان والكائنات الحية عن العيش على الأرض، قال تعالى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقنَٰهُ بِقَدَر**﴾ [القمر: 49]، فسبحان مبدع هذا الخلق [2].

ولو نظرنا للتوازن الدقيق بين جاذبية الشمس لمكوناتها في اتجاه مركزها، ودفع تلك المكونات بعيداً عن المركز بواسطة القوة الناتجة عن تمدد الغازات المكونة لها بفعل الحرارة الفائقة في مركزها، الأمر الذي حافظ على بقاء الشمس طيلة هذِه السنين تحت هذا التوازن العجيب، اذ لولاه لانفجرت الشمس كقنبلة نووية عملاقة، أو لانهارت على ذاتها تحت ضغط جاذبيتها خاصة إنها تمثل كتلة هائلة من الغازات [3].

وعلى ذلك فإن تقدير العزيز الحكيم جل جلالهُ الذي خلق الشمس بهذا الحجم وبهذهِ الكتلة والدقة البالغة هو الذي مكنها من تحقيق هذا التوازن الدقيق بين قوى الدفع إلى الخارج، وقوة التجاذب إلى الداخل، ومن البقاء في حالة غازية أو أشبه بالغازية الملتهبة متوهجة بذاتها طيلة هذه السنين وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فلو تغير حجم وكتلة الشمس ولو قليلاً؛ لتغير سلوك مادتها تماماً أو لانفجرت وانهارت على ذاتها؛ لأن سبب بقاء عملية الاندماج النووي [4]، في قلب هذا النجم (الشمس) وانطلاق الطاقة منهُ، هو تكونهُ من كتلةٍ

---

1 ينظر: موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص188.

2 ينظر: فهد خليل: الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، ص77.

3 ينظر: زغلول النجار: السماء في القرآن الكريم، ص 581.

4 هي التفاعلات الذرية الناتجة من تفاعل اليورانيوم المخصب بإطلاق نحو ذرات الهيدروجين مما يؤدي إلى تكوين نواة جديدة أثقل فتكّون عنصراً جديداً. ينظر: الاندماج النووي: جوزف فايس، ترجمة: زينا مغربل، مراجعة ابو بكر سعد الله، ط1، مطابع مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الرياض، 2004 م ص 11.

وحجمٍ معينين متناسقين ومحافظين على الاتزان الدقيق بين التمدد والتجاذب في الشمس نفسها، فهل هناك إبداع وتسخير أعظم وأدق من ذلك، قال تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ ٱلشَّمسَ وَٱلقَمَرَ**﴾ [الرعد: 2].

المطلب الرابع: تراكيب النجوم في نظام الفلك.

لقد أشار الشيخ رشيد الخطيب الموصلي إلى تراكيب النجوم في نظام الفلك فقال: "وهناك المجتمعات النجمية وهي التي تجمعت في أشكال كروية تعرف بالعناقيد والمجتمعات النجمية، وتختلف عدد النجوم فيها من 5 ألاف نجم إلى 100 ألف نجم، وذلك فيما أمكن كشفه؛ وتدور نجوم كل مجتمع بعضها حول بعض خاضعةً لنظام الجاذبية العامة، وهذهِ المجتمعات على أبعاد شاسعة عنا، وتتراوح بين ثمانية عشر ألف سنة ومائة وثمانين ألف سنة ضوئية في المدى الذي قدر أن تكتشفهُ لنا النظارات الفلكية، فمجموعة الجاثي [1] مثلا يصل نورها إلينا في ثلاث وثلاثين ألف سنة ضوئية، وهي تبعث من الضوء مليونين ونصف مليون مرة قدر ما تبعثهُ الشمس، ومع ذلك لا يرى إلا بصعوبة، فلا عجب إذا ظهرت المجتمعات الأخرى التي أبعادها تزيد على ذلك بكثير، لطخاً سحابية؛ لأنها تبعد عنا مائة وأربعين مليون سنة ضوئية وقد كشف منها إلى حد الآن مليونان من السحائب؛ أما الفضاء الذي تشغلهُ الواحدة من هذه التجمعات فقد دلت الأرقام على أن قطر بعضها يزيد عن ألف سنة ضوئية، وأن معدل المسافة بين نجم وأخر في أي مجتمع لا يقل عن عشرة ملايين مليون ميل، وهذا المقدار يجعل الاصطدام بين هذه النجوم بعيد الاحتمال في هذهِ المجتمعات أيضاً؛ وهذا الكون العظيم خلقهُ سبحانهُ بمشيئةٍ وإرادةٍ، وما مسهُ من لغوب، فهذا معبودنا جل جلاله لا نشرك به أحداً" [2].

تعتبر النجوم أجساماً غازيةً حارةً متوهجةً نشأت داخل سديم، وتختلف فيما بينها اختلافاً شديداً من حيث الحجم والكتلة ودرجة الحرارة، ويتحدد لون النجم بدرجة حرارتهِ، فأرفع النجوم حرارة تتلون باللون الأزرق، وأخفضها شدة تتلون باللون الأحمر [3].

وتُعد شمسنا أحد هذه النجوم، وقد اكتسبت لونها الأصفر، لأنها متوسطة الحرارة بين النجوم الزرقاء الشديدة الحرارة والحمراء المنخفضة الحرارة [4].

---

1 هي مجموعة من الكويكبات والنجوم تقع في نصف الكرة السماوية الشمالية بين مجموعة القيثارة والإكليل الشمالي، وهي خامس أكبر التجمعات النجمية والتي يبلغ مساحتها 1225 درجة مربعة وتسمى أيضاً بالراقص أو هرقل، ينظر: قاموس دار العلم الفلكي: عبد الامير مؤمن، ط، دار العلم للملايين، بيروت، 2006م، ص91.

2رشيد الخطيب الموصلي: تفسير أولى ما قيل، 2/230-231.

3 ينظر: زغلول النجار: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص302.

4 ينظر: عبد العليم عبد الرحمن خضر: الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، ص91.

وتتشكل النجوم بالسماء في أماكن متباعدة عن بعضها، وإن كنا نراها في السماء متقاربة، ويكفي أن نعرف أن قياس الأبعاد والمسافات بين نجمين لا يكون إلا بالسنين الضوئية [1]، وقد أثبت علماء الفلك أن أقرب نجم إلينا بعد الشمس يصل ضوؤهُ إلينا بعد أربع سنوات وبضعة أشهر، أي ما يزيد عن خمسين شهرا، علماً أن ضوء الشمس يصل إلينا بعد ثمانية دقائق، وهي تبعد عنا ما يقرب 150 مليون كيلو متر، وهذه المسافة التي قدرها العزيز الحكيم كافية للاستفادة من أشعة الشمس للحياة على الأرض، فلو زادت قليلاً أو نقصت قليلاً لانعدمت الحياة على سطح الأرض.

وقد توصل العلماء حديثاً من خلال أجهزة الفلك الراديوي [2]، والسيني [3]، والجامي [4]، من اكتشاف أشكال عديدة من النجوم منها النابضة [5]، والسينية [6]، والنيوترونية [7]، والثقوب السوداء [8]، وغيرها من الأشكال، واكتشفوا أن أغلب هذه النجوم تتجمع في حشود كبيرة تسمى المجرات، وإن المجرة الواحدة تحتوي في متوسط عددها على أكثر من مائة بليون نجم بالإضافة إلى كميات هائلة من التراب والغبار الكوني، وإن المراصد الحديثة أوضحت لنا وجود أكثر من 2 بليون مجرة في هذا الكون العظيم الشاسع، وأن المسافات بين نجم وآخر داخل المجرة الواحدة مسافات كبيرة وهائلة تفوق الوصف والخيال، وأن هذه النجوم تتشكل داخل المجرات بأشكال

---

1 وهي وحدة قياس تستخدم للمسافات الكبيرة والبعيدة جداً، كالمسافة بين الأرض والنجوم، وتعرف السنة الضوئية على أنها المسافة التي يقطعها الضوء في سنة واحدة، والضوء يقطع مسافة 300000 كيلومتر في الثانية، ويقطع مسافة 18 مليون كيلو متر في الدقيقة، وهذه تسمى الدقيقة الضوئية، أما المسافة التي يقطعها الضوء في السنة فتبلغ 9،461 ترليون كيلو متر وتسمى السنة الضوئية. ينظر: مجلة ناسا بالعربي، عدد آب لسنة 2015م، ص7.

2 هو نوع من أنواع التلسكوبات الذي يعتمد على التقاط الموجات الراديوية غير المرئية بواسطة أطباق هوائية لا مرآة ولا عدسية، وتتميز بقدرتها على عبور حواجز عديدة كالسُحب الكثيفة، والضباب والغاز من ما يُمكّن الراصد من الحصول على إشارات كونية قادمة من أعماق الكون ويُمكّن الراصد= =من متابعة السماء ليلاً ونهاراً. ينظر: علم الفلك الراديوي: لجنة الدراسات في مكتب الاتصالات الراديوية، ط3، مطابع مكتب الاتصالات الراديوية، 2013م، ص9.

3 هي أجهزة تعمل بالأشعة الكهرومغناطيسية اكتشفت عام 1895م بواسطة الفيزيائي الألماني فلهيلم، وتطلق الأشعة السينية في الفراغ بسرعة تقترب كثيراً من 300 الف كيلومتر في الثانية. ينظر: مقدمة في الفيزياء الحديثة: فخري اسماعيل حسن، ط، دار نوبار لطباعة، شيبرا، مصر العربية، 1997م، ص 54.

4 هي أجهزه تعمل بأشعة كهرومغناطيسية ذات طاقة هائلة وتردد عالي و تكون سرعتها كسرعة الضوء. ينظر: مقدمة الفيزياء الحديثة فخري اسماعيل حسن ص 79.

5 هي عباره عن أجسام بيضوية مكتنزة يقدر حجمها بحجم مدينة كبيرة، ولكنها تحتوي على كتله اكثر مما تحتوي الشمس فيستخدمها العلماء لدراسة الحالات المتطرفة للمادة وللبحث عن كواكب خارج المجموعة الشمسية بالإضافة إلى قياسات المسافات الكونية، وسميت النجوم النابضة لأنها ذات وميض متقطع تومض ثم تنطفئ في إيقاع منتظم. ينظر: مجلة ناسا بالعربي، عدد تشرين الأول لسنه 2016م ص 17.

6 هي نوع خاص من الأنظمة النجمية الثنائية وهذه الأنظمة مكونة من نجم عادي و نجم منهار، وبتزاوج هذه النجوم واقترابها من بعض تنتج أشعه سينية فسميت بالنجوم السينية. ينظر: مجلة ناسا بالعربي، عدد أذار لسنه 2015م ص ٩.

7 هي أجسام نجمية بحجم المدن تعادل كتلتها1:4 أضعاف كتلة الشمس، وتولد هذه النجوم على أثر الموت الانفجاري لنجوم أخرى أكبر حجماً. ينظر: مجلة ناسا بالعربي، عدد أذار لسنه 2015م ص ٥1.

8 هي منطقة ذات كثافة شديدة في الفضاء، وتتضمن كتلة هائلة جداً تفوق مليون مرة كتله الشمس، ويعتبرها العلماء موطن اللامعقول بشرياً حيث أن كتله هذه الثقوب مضغوطة بقوه تجعل من المستحيل على أي شيء الإفلات من قوة جاذبيتها بما في ذلك الضوء، وتسمى الوحوش السماوية، وتقع على بعد سحيق من الأرض، ينظر: جريدة الشرق الأوسط، في عدد أبريل لسنه 2019م.

عنقودية أو حلزونية أو بيضوية باختلافات وأشكال متباينة [1]، قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ وَٱختِلَٰفِ ٱلَّيلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلفُلكِ ٱلَّتِي تَجرِي فِي ٱلبَحرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحيَا بِهِ ٱلأَرضَ بَعدَ مَوتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّة وَتَصرِيفِ ٱلرِّيٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلمُسَخَّرِ بَينَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلأَرضِ لَأٰيٰت لِّقَوم يَعقِلُونَ**﴾ [البقرة: 164].

المطلب الخامس: منطقتي الشروق والغروب الدائم.

وهذا ما عبر عنه الشيخ رشيد الخطيب بمنطقتي الشروق والغروب الدائم، فقال رحمه الله: "﴿**حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغرِبَ ٱلشَّمسِ**﴾ [الكهف: 86]، أي: منطقة الغروب الدائم، والله أعلم" [2]، ثم شرع في بيان منطقة الشروق الدائم فقال: "﴿**حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطلِعَ ٱلشَّمسِ** ﴾ [الكهف: 90] أي: منطقة الطلوع الدائم، والذي يظهر أنه تحول في تلك المنطقة نفسها، وانتقل من بلاد إلى أخرى، فصادف الظهور الدائم للشمس؛ لأن المنطقة ودرجة العرض التي يكون فيها غروب دائم، يكون فيها شروق دائم بالتناوب في السنة الواحدة، وقد عبر عنهُ بقوله: ﴿**وَجَدَهَا تَطلُعُ عَلَىٰ قَوم لَّم نَجعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِترا**﴾، أي: لم تكن الشمس مستورة بالأفق كما كانت مستورة في منطقة الغروب الدائم، ولكنها كانت هنا على العكس ظاهرة دائماً لا تستر عنهم" [3].

يكون الليل والنهار على دائرة القطبين ستة أشهر تقريباً نهاراً، ويعقبها ستة أشهر ليلاً [4]. قال الشيخ الشعراوي: "أن الإسكندر [5]، قد وصل إلى مناطق في الأرض لا تغيب عنها الشمس فترة طويلة، أي: أنهُ لا يتعاقب عليها الليل والنهار كباقي أجزاء الكرة الأرضية، بل تظل الشمس مشرقة عليها لفترة طويلة لا يسترها ظلام، وإذا بحثنا الآن نجد أن هناك مناطق في العالم تغيب عنها الشمس ستة شهور في العام، فالشمس لا تغيب عن القطب الشمالي مدة ستة شهور، وعن القطب الجنوبي مدة ستة شهور. فكأن الله تعالى يريد أن يخبرنا أن

---

1 ينظر: زغلول النجار: السماء في القرآن الكريم، ص204.

2 رشيد الخطيب الموصلي: تفسير أولى ما قيل، 48/5.

3 رشيد الخطيب الموصلي: تفسير أولى ما قيل ، 50/5.

4 ينظر: الموسوعة العربية العالمية: 264/14.

5 هو أحد الملوك العادلين الذين ملكوا الأرض، حتى بلغ ملكه مشارق الأرض ومغاربها، وملك الأقاليم وأدان الناس له وسار فيهم بالعدل وكان له السلطان المؤيد والملك القاهر، على الصحيح من أقوال أهل العلم. ينظر: البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1988م، 104/13.

هناك أماكن في الأرض لا تخضع لقواعد تعاقب الليل والنهار كالتي تخضع لها باقي أجزاء الأرض، وإنما تشرق الشمس عليها دون أن يسترها الظلام لفترة طويلة" [1].

1محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن، ص55-56.

الفصل الثالث: التفسير العلمي المتضمن لعجائب الخلق وبعض الحكم التشريعية

المبحث الأول: التفسير العلمي المتضمن لعجائب الخلق

المطلب الأول: من عجائب الله في خلقه تنوع المحاصيل شكلاً وطعماً.

قال الشيخ رشيد الموصلي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاء فَأَخرَجنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيء فَأَخرَجنَا مِنهُ خَضِرا نُّخرِجُ مِنهُ حَبّا مُّتَرَاكِبا وَمِنَ ٱلنَّخلِ مِن طَلعِهَا قِنوَان دَانِيَة وَجَنَّٰت مِّن أَعنَاب وَٱلزَّيتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشتَبِها وَغَيرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُواْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَا أَثمَرَ وَيَنعِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكُم لَأٓيَٰت لِّقَوم يُؤمِنُونَ**﴾ [الأنعام: 99]، ما يأتي: "وهذا الاشتباه بين أنواع كل واحدٍ منها، فالرمان مثلاً منهُ الحلو والحامض والمر، وهكذا أيضاً تتمايز أنواع العنب والزيتون لوناً أو شكلاً أو طعماً، وتتطور الثمار أطواراً عديدة بين طلعها ونضوجها، لذلك ﴿**ٱنظُرُواْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَا أَثمَرَ وَيَنعِهِۦٓ**﴾ إذا أينع، أي: أنضج وبدا صلاحهُ، وتأملوا صفاتهُ ومميزاته في كل من الحالين–الإثمار والإيناع– وما بينهما، يظهر لكم من لطف الله وتدبيره وحكمته في تقديره وتطويره ما يَّدل أوضح الدلالة على وجوب توحيد في الألوهية والربوبية ونفي كل شرك" [1].

يُعد علم النبات من العوالم العجيبة التي أودع الله فيها الكثير من عجائب قدرته وبديع خلقهِ، ما جعل العلماء يتسابقون ويجتهدون في دراسةِ خصائصهِ وصفاته وأنواعهِ، فهم في كل يوم يقطعون أشواطاً في كشف الصفات التشريحية أو التكاثرية او البيئية لهذا العالم العجيب [2].

﴿**وَهُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاء فَأَخرَجنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيء فَأَخرَجنَا مِنهُ خَضِرا نُّخرِجُ مِنهُ حَبّا مُّتَرَاكِبا وَمِنَ ٱلنَّخلِ مِن طَلعِهَا قِنوَان دَانِيَة وَجَنَّٰت مِّن أَعنَاب وَٱلزَّيتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشتَبِها وَغَيرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُواْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَا أَثمَرَ وَيَنعِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكُم لَأٓيَٰت لِّقَوم يُؤمِنُونَ**﴾ [الأنعام: 99].

فمن العجيب أن كافة نباتات العالم تتغذى على عناصر واحدة ومتشابهة كالضوء والماء والتربة، ومع ذلك ينبت في الأرض التفاح الحلو، والحنظل المرُ، والقطن الناعم، والصبار الشائك، والقمح والشعير والبرتقال

1رشيد الخطيب الموصلي، تفسير أولى ما قيل، 348/3.

2 ينظر: زغلول النجار: موسوعة الإعجاز العلمي، ص 280.

والليمون، وغيرها من المحاصيل المختلفة وعناصرها واحدة وماؤها واحد، وبذورها تناهت في الصغر، تخرج منها آلاف الأنواع، وعدد من الأشكال، ومختلف الروائح والمذاق!! إن في ذلك لآية لأولي الألباب [1].

يقول الله تعالى: ﴿**وَفِي ٱلأَرضِ قِطَع مُّتَجَٰوِرَٰت وَجَنَّٰت مِّن أَعنَٰب وَزَرع وَنَخِيل صِنوَان وَغَيرُ صِنوَان يُسقَىٰ بِمَاء وَٰحِد وَنُفَضِّلُ بَعضَهَا عَلَىٰ بَعض فِي ٱلأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰت لِّقَوم يَعقِلُونَ**﴾ [الرعد: 4]؛ يقرر علماء النبات أن جذور النباتات تتمدد في التربةِ لتمتص الغذاء من عناصرها الملائمة لها وتحولها إلى ثمار ليتميز بعضها عن بعض في الشكل والطعم والرائحةِ، فالنباتات فصائل كثيرة منها الشجر كالنخيل والزيتون والرمان، ومنها الزروع كالقمح والشعير والذرة، ومنها ما يقوم على ساق كالنخيل والتفاح، ومنها ما يفترش الأرض كالبطيخ واليقطين، ومنها ما تكون للتغذية والإطعام كالحنطة والتمر، ومنها ما يكون للملبس كالقطن والكتان، ومنها ما يكون للدواء كالحبة السوداء، ومنها ما يكون للزينة كالورد، ومنها ما يكون فاكهةً، ومنها ما يكون طعاماً للبهائم، فسبحان من نوع خلقهُ [2].

قال ابن القيم [3] وهو يتكلم عن عجائب الأرض في الإنبات: "فانظر إليها وهي ميتة هامدة خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت فتحركت وربت فارتفعت واخضرت وأنبتت من كل زوج بهيج، فأخرجت عجائب النبات في المنظر والمخبر بهيج للناظرين كريم للمتناولين فأخرجت الأقوات على اختلافها وتباين مقاديرها وأشكالها وألوانها ومنافعها والفواكه والثمار، وأنواع الأدوية، ومراعي الدواب والطير، ثم انظر قطعها المتجاورات، وكيف ينزل عليها ماءاً واحداً فتنبت الأزواج المختلفة المتباينة في اللون والشكل والرائحة والطعم والمنفعة، واللقاح واحد والأم واحدة، كما قال تعالى: ﴿**وَفِي ٱلأَرضِ قِطَع مُّتَجَٰوِرَٰت وَجَنَّٰت مِّن أَعنَٰب وَزَرع وَنَخِيل صِنوَان وَغَيرُ صِنوَان يُسقَىٰ بِمَاء وَٰحِد**﴾ [الرعد: 4]، فكيف كانت هذه الأجنة المختلفة مودعة في بطن هذه الأم وكيف كان حملها من لقاح واحد ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰت لِّقَوم يَعقِلُونَ**﴾ [4].

---

1 ينظر: زغلول النجار: موسوعة الإعجاز العلمي، ص 283.

2 ينظر: عبد السلام اللوح: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص202.

3 محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي، شمس الدين بن قيم الجوزية الحنبلي، ولد سنة 691هـ، ونشأ في بيت علم وأدب وكان جريء الجنان واسع العلم عارفاً بالخلاف، ومذاهب السلف، توفي سنة 751هـ. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان = =المئة الثامنة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:851هـ، حقيق محمد عبد المعيد خان، ط2، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1972م، 137/5.

4 مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (ت: 751هـ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت، 200/1.

المطلب الثاني: كيفية تكون جسم الإنسان.

قال الشيخ رشيد الخطيب الموصلي في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَانظُر إلى العِظامِ كَيفَ نُنشِزُها ثُمَّ نَكسوها لَحَمًا**﴾ [البقرة: 259]، فقال رحمه الله: "من راح إلى أن الحمار مات، أن المراد بالعظام هنا عظامه، ومعنى ننشزها ننميها ونركبها بعد أن تفصلت وتخللت لتشاهد كيفية الإحياء في غيرك بعد ما علمتهُ في نفسك، ومن قال أن الحمار لايزال حياً يقول أن المراد من العظام جنسها، فقد قال الأستاذ الإمام: إنه بعد أن أراه الآية التي تكون حجة خاصة على من رآها، نبهه إلى الحجة العامة، والدليل الثابت الذي يمكن أن يستنتج به إلى البعث في كل زمان ومكان، و هي سنة الله في تكوين الحيوان، وإنشاء لحمه وعظمه في بطن أمهِ أو في بيضته، فالإنشاء: معناه الإحداث والتقوية، والإنشاز: معناه تنمية، لأن الذي ينمو ويعلو ويرتفع كأنه يقول: كما أطلعناك على بعض الآيات الخاصة التي تدلك على قدرتنا على البعث، نهديك إلى الآية الكبرى العامة، فتفتكر بها، وهي كيفية التكوين، أي كيف أن الله سبحانه ينشأ العظام الحيوان والإنسان ثم ينميها ويكسوها لحماً، كما قال تعالى: ﴿**فَخَلَقنَا العَلَقَةَ مُضغَةً فَخَلَقنَا المُضغَةَ عِظامًا فَكَسَونَا العِظامَ لَحَمًا**﴾ [المؤمنون: 14]، والقرآن يكرر للاحتجاج بهذه الآيات الكونية التي هي أصل النشأة ويستدل بها على إمكان الحشر، قال تعالى: ﴿**كَما بَدَأَكُم تَعودونَ**﴾ [الأعراف: 29]، وقال تعالى: ﴿**كما بَدَأنا أول خَلقٍ نُعيدُهُ**﴾ [الأنبياء: 104]، ثم قال تعالى: ﴿**فَلَمّا تَبَيَّنَ لَه**﴾﴾ [البقرة: 259]، أي: ظهر واتضح له ما ذكر: ﴿**قالَ أَعلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ**﴾ [البقرة: 259]، علماً يقيناً مؤيداً بآيات الله في نفسي وفي الآفاق [1].

إن الكلام عن جسم الإنسان والأطوار الخلقية التي مربها، هو كلامٌ عن أعقد مخلوق خلقه الله، وقد أشار القرآن الكريم إلى قريب من هذا المعنى، وأمرنا أن نتأمل في أنفسنا عن طبيعة هذا الخلق، المعقد فقال تعالى : ﴿**وَفي أَنفُسِكُم أَفَلا تُبصِرونَ**﴾ [الذاريات:21]، فالجسد الذي نراهُ كل يوم في أنفسنا أو في كل من بجانبنا من الناس هو هيكلية عجيبة تحتوي على جانب كبير من الدقة وحسن المظهر وجمال التناسق، وقد أراد الله سبحانه تعالى أن يأخذ أنظارنا إلى هذا البناء الصعب، لنقف على حقيقه واضحة، لتدلنا على عظمة الخالق وجمال الخلق وكماله.

ومن تأمل طبيعة المراحل التي يمر بها الخلق يرى عظمة الخالق جل جلاله، المرحلة الأولى تبدأ بالحمل وتتميز هذهِ المرحلة ببداية تكوين الأعضاء وظهورها، ثم تبدأ بعدها مرحلة الجنين وتتميز هذهِ المرحلة بتهيئة الأعضاء

1 رشيد الموصلي، تفسير أولى ما قيل، 387/2.

والأجهزة للقيام بوظائفها وقد أشار بعض المفسرين إلى هذا المعنى بقوله "يصبح الإنسان كائن ناطقاً سميعاً بصيراً"[1]، ثم تبدأ بعدها مرحلة اكتساء العظام لحماً وهذه المرحلة تعتبر الحد الفاصل بين مرحلتي الحمل والجنين، قال تعالى: ﴿**فَكَسَونَا العِظَامَ لَحمًا ثُمَّ أَنشَأناهُ خَلقًا آخَرَ فَتَبارَكَ اللَّهُ أحسن الخالِقينَ**﴾ [المؤمنون: 14]، وقد جاء في صحيح مسلم تفصيل أطوار الخلق بصورة جلية كما في رواية عبد الله ابن مسعود ﷺ قال إن الرسول ﷺ قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد» [2]، وبعدها تبدأ مرحلة نفخ الروح، فتدب فيه الحياة ويبدأ الجنين بالحركة وتبدأ مرحلة جديده وتحول جديدة في حياة الجنين، فيبدأ الجنين بالنمو شيئاً فشيئاً، وتبدأ أعضائه بالتكامل والتحول إلى طبيعتها البشرية شيئاً فشيئاً، فيتطور الهيكل العظمي وتتحول العظام من العظام الغضروفية اللينة إلى عظام صلبة متكلسة، ثم تبدأ بعدها الأظافر بالنمو والظهور وكذلك أطراف الأصابع، ثم يبدأ الشعر الزغبي بالظهور على الجلد، وبعدها يبدأ حجم الجنين بالازدياد شيئاً فشيئاً، وتظهر أعضاءه التناسلية ويحصل تمايز بين الجنسين ثم تتطور العضلات الإرادية واللاإرادية، ثم يبدأ الجهاز العصبي بعمله الوظيفي مروراً بالحبل الشوكي، وتبدأ تظهر الحركات البدائية الغريزية فيصبح الجنين بعد هذه المرحلة خلقاً له القدرة على التعايش والبقاء خارج الرحم.

وتأمل قول الله تعالى: ﴿**وَانظُر إلى العِظامِ كَيفَ نُنشِزُها ثُمَّ نَكسوها لَحمًا**﴾ [البقرة: 259]، إن خلق العظام في الجسم له فوائد عديدة، فهي التي تكسبهُ شكله العام وتحافظ على قوامه المثالي فهي بمثابة الهيكل الحديدي الذي يحافظ على قيام الجسم واستقامته، فتشمل الجمجمة والقفص الصلب الذي يحمي المخ ويحمي العمود الفقري كأنبوب العظام الذي يحمي النخاع الشوكي ويوفر له الحماية، وتمثل الأضلاع الدرع الحصين والسد المنيع الذي يحمي القلب والرئتين، أما عظام الأطراف متمثلة باليدين والساقين فهما يمثلان الدعائم التي تثبت عليها العضلات، وترتبط هذهِ العظام فيما بينها بمفاصل تزيد علي 360 مفصل، تقوم هذه المفاصل بتسهيل حركة الإنسان فتنطوي وتنثني عند الحركة، ويربط هذهِ العظام ويمسكها مع بعض نسيج مرن يسمى الغضاريف تساعد على حماية اطراف العظام و نهايتها مع بعض من الاحتكاك، ويأتي بعد ذلك مرحلة جديدة وطور آخر فيتمثل بحماية هذه العظام من المؤثرات الخارجية، فتكتسي بطبقة من اللحم، ومن خلال هذهِ المعلومات نفهم أن العظام لا تعمل إلا بهذا التنسيق، ولذلك امتن الله على عباده بهذا الخلق البديع المتناسق.

---

1 شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415 هـ، 14/18.

2 أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، 2036/4، برقم: 2643.

المطلب الثالث: كيفية تكوين الأرض.

قال الشيخ رشيد الموصلي رحمه الله: "ثم وصف الماء بأعظم آثاره، فقال: ﴿**ماءٍ فَأَحيا بِهِ الأرض بَعدَ مَوتِها**﴾ [البقرة: 164]، وهذا كما يتناول الإحياء المتكرر في كل سنة، يتناول الإحياء الأول عندما انفصلت الأرض من الشمس، وكانت مائرة ملتهبة تتبخر من حرارتها مادةٌ ما، فتلاقي في الجو برودة تجعلها ماءً ينزل على الأرض فيبرد من حرارتها، حتى صار سطحها ماءً، وظهرت كذلك اليابسة، وخلق الله عليها النبات والحيوان ﴿**وَبَثَّ فيها مِن كُلِّ دابَّةٍ**﴾[البقرة: 164]" [1].

إن الكلام عن نشأة الأرض الأولى وتكونها يرجع بنا إلى تاريخ نشأة النظام الشمسي وذلك باعتبار أن أرضنا هي جزء من هذا النظام العظيم وقد مرت الأرض في نشأتها بعدة أطوار حتى انتهت إلى ما هي عليه الآن، فالأرض بشكل بسيط تتكون من قشرة صلبة تمثل مادة الحياة عليها، ففيها توجد عناصر الطبيعة التي يعتمد عليها تكوين الغذاء والنبات في التربة، وتشتمل هذهِ القشرة في داخلها على مواد منصهرة تمثل الحمم البركانية التي قد تزيد درجة حرارتها على أكثر من 1500 درجة مئوية [2].

لم تأخذ الأرض شكلها الحالي إلاّ بعد مُدد من الأزمان لا يُعلم عددها إلا الله، بقيت فيها الأرض في صراع مع نفسها حيث يقوم باطن الأرض بإمداد القشرة الخارجية بكتل هائلة من الصخور والمعادن المنصهرة، فتتعرض هذهِ الكتل المنبعثة لعدة عوامل تؤثر فيها وتهدم شكلها فتغيرها بين الحين والآخر، واستمر هذا الصراع بين العمليات الداخلية البانية لسطح الأرض، والعمليات الخارجية الهدمية، في دورات متتالية على مر السنين استمرت بين اليابسة والماء، وبين المنخفضات والمرتفعات، وبين البناء والهدم، حتى تكونت السهول الخصبة والتربة الغنية والصخور الرسوبية، فأصبح سطح الأرض صالحاً للعمرانِ ولعيش الإنسان [3].

وقد ذكر علماء الجيولوجيا التباين والاختلاف بين ألوان الصخور وتراكيبها كالجرانيت والبازلت وغيرها من الصخور النارية التي قذفتها الأرض من باطنها بواسطة البراكين، فشكلت في جزء كبير منها قشرة الأرض، وما نراه من اختلاف في طبيعة الأرض وألوان الجبال، إلا مثالاً شاهداً على هذهِ الحقيقة العلمية، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ الجِبالِ جُدَدٌ بيضٌ وَحُمرٌ مُختَلِفٌ أَلوانُها وَغَرابيبُ سودٌ**﴾ [فاطر: 27]، فالزلازل والبراكين ماهي إلا آثار القوة المختزنة في باطن الأرض والتي تنتج من تحول الطاقة الحرارية العالية في جوف الأرض إلى قوة ضغط

---

1 رشيد الموصلي، تفسير أولى ما قيل، 233/2.

2 منصور محمد حسب النبي، الكون كتاب الله المنظور آيات ودلالات، (القاهرة: دار الفكر العربي، 2010م، ص8.

3 هبة سعيد فارس، الإعجاز العلمي في آيات بداية الكون ونهايته، ص91.

داخلية بطاقة ميكانيكية عالية تولد حركة سريعة في الأرض ومفاجئة تتسرب من خلالها الحمم النارية المنصهرة إلى خارج القشرة الأرضية، وهكذا بدأت تتكون طبيعة القشرة الخارجية شيئاً فشيئاً، لقد ساعد ذلك نزول الأمطار ووجود الغلاف المائي على جزء كبير من سطح الأرض مما ساعد في انكماشها وتبريدها، وهكذا عملت الزلازل والعواصف والسيول وعوامل التعرية جميعها على تشكيل طبقة الأرض التي نعيش عليها [1].

المطلب الرابع: ظاهرة الزلازل وآثارها على الأرض.

أشار الشيخ رشيد الخطيب الموصلي في تفسيره لقولهِ تعالى: ﴿**وَإِذ أَخَذنا ميثاقَكُم وَرَفَعنا فَوقَكُمُ الطّورَ**﴾ [البقرة: 63] إلى ظاهرة الزلازل وقال رحمه الله: "ورفع الطور فوقهم آيةٌ كونية من الآيات التي يخوفُ الله بها عباده، ويجريها على أيدي الأنبياء، وإن كانت لها أسباب طبيعية أو غير معروفة، ويجوز أن يكون هذا الرفع بحركة زلزال قوي قلع الجبل إلى فوق وعاد إلى موضعهِ، وإن حدث فيه بعض الخلل والتفسخ والتنفش"[2].

فالشيخ رحمه الله مع إيمانه بقدرة الله المطلقة وأن الله على كل شيءٍ قدير ويفعل في خلقه ما يشاءُ بأسباب وبغير أسباب، لكن الشيخ عوَّل برفع الطور المذكور بالآية على أسباب مادية فذكر احتمال وارد في أن رفع الطور قد حدث بسبب زلزال فإن من شأن الزلازل أن ترفع أجزاء من الأرض وتخفض أخرى ولعل هذا ما وقع للطور، وفي هذا تنبيه منهُ لبعض الطوائف ممن لا يؤمنون بوقوع الحوادث على سبيل المعجزات كأمثال الملاحدة والماديين، وعلى هذا حمل الشيخ معنى الآية فقال: "ويجوز أن يكون هذا الرفع بحركة زلزال قوي قلع الجبل إلى فوق وعاد إلى موضعهِ".

بفضل التقدم العلمي المعاصر، أصبح للزلازل علمٌ معروف يسمى بعلم السيسمولوجيا، وتعرف النظرية التي تمدنا بتعليل مقبول لظاهرة الزلازل، نظرية الصفائح أو الألواح التكتونية، ومفاد هذهِ النظرية التي تفترض أن الغلاف الأرضي قد تفتق إلى عدة قطع صخرية منفردة تشكل ألواحاً وصفائح سمكها قد يصل إلى ما يزيد عن مئة كيلومتر، تغلف وتحيط بباطن الأرض المنصهر، ومن خلال رصد الأقمار الصناعية، وجد أن عدد هذه الألواح الرئيسية هو ثمانية ألواح عظيمة ومتجاورة، تفصلها عن بعضها تصدعات وانقسامات، ويعتقد العلم الحديث أن السبب الرئيسي للزلازل هو حركة هذه الصفائح والألواح بمؤثر حراري ناتج عن توزيع غير متساوي

1 منصور حسب النبي، الكون كتاب الله المنظور آيات ودلالات، ص9-10.

2 رشيد الموصلي، تفسير أولى ما قيل، 110/2.

لحرارة باطن الأرض، فترتفع المواد الساخنة من أعماق الأرض إلى الأعلى وتتوزع جانباً عن طريق تيارات الحمل، فتبدأ تلك الصفائح بالحركة فتحدث الزلازل [1].

عندما تنبعث الهزات الأرضية من مركز باطن الأرض، تنطلق من هذا المركز طاقة هائلة تؤدي إلى تكوين ذبذبات قوية في الصخور، فتسري فيها على شكل تموجات تختلف شدتها على حسب بعدها وقربها من مركز الزلازل، فتتأثر الأرض بهذه الهزات العنيفة، مما قد يؤدي إلى انشقاق الأرض، فيرتفع جزء منها على حساب الجزء الآخر [2].

المطلب الخامس: عملية الإدراك في المخلوقات.

إن عملية الإدراك في المخلوقات قد أشار إليها الشيخ رشيد الخطيب الموصلي في تفسيره فقال: "ومثلُ ذلك كثيرٌ من موجودات هذا الكون وسننهِ فضلاً عن مخلوقات الله سبحانه، فهذهِ حبة البرّ مثلاً ونبتها واستوائها على سوقها، وبذره التين مثلاً وشجرها وأثمارها، فهو أمرٌ تصدق به يقين مشاهدهُ شاهد عيان دون أن يتوقف معرفة كيفيته وكنه حقيقته، وكذلك قوة الكهرباء وآثارها جلية وحقيقتها خفية، وهذهِ عملية التذكر وعملية الإدراك ليس أحدٌ يعلم كيف تتم كل واحدةٌ منها، رغماً عن أنها حقيقة واقعية مستفيضة، وأمثال ذلك كثير" [3].

إن الإنسان يدرك يوماً بعد يوم حقيقة العظمة الإلهية في الخلق، فالمخلوقات على اختلاف أنواعها وأشكالها، عالمٌ كبيرٌ يصعب حصرهُ، فإن المتأمل والناظر في كتاب الله المنظور يدرك تمام الإدراك الإبداع الإلهي في الخلق، وما أكثر الأمثلة التي نراها كل يوم، ونستشعر بها من حولنا سواء كانت في عالم النبات أو بهائم الحيوان، فلو تأملت النباتات من حولك، ورأيت كيف أنها تنجذب تلقائياً نحو ضوء الشمس، وتتوجه أوراقها وكأنها تشرئب بأعناقها إلى ذلك الضوء؛ لأدركت يقيناً أن هذه المخلوقات فيها من الإدراك والوعي الذي ركبهُ الله فيها لتباشر به أسباب بقائها ونموها وتكاثرها، وهذا الأمر ما كان ليكون بطريق الصدفة أو عشوائياً، وإنما وقع بتقدير العزيز العليم الذي له كل شيء خلقه، فاللهُ جل جلاله ركب فيها من أسباب الإدراك المناسب لخلقتها ما جعلها تسعى لتحصيل أسباب بقاءها: وكيف لا تدرك وقد جعلها اللهُ من جنس معبوداتهِ لانقيادها له، قال تعالى: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبعُ وَالأرض وَمَن فيهِنَّ وَإِن مِن شَيءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمدِهِ وَلٰكِن لا تَفقَهونَ تَسبيحَهُم إِنَّهُ كانَ حَليمًا غَفورًا**﴾ [الإسراء: 44]، وقال تعالى: ﴿**أَلَمَ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسجُدُ لَهُ مَن فِي السَّماواتِ**

1 فهد خليل زايد، الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، (بيروت: دار النفائس، 2008م، ص20-21.

2 ماهر أحمد الصوفي، آيات الله في الرياح والمطر والأعاصير والبراكين والزلازل، ص180.

3 رشيد الموصلي، تفسير أولى ما قيل، 123/2.

وَمَن فِي الأرض وَالشَّمسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجومُ وَالجِبالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوابُّ﴾ [الحج: 18] فبعد التجارب الكثيرة التي أجريت على النباتات، استحدث بشكل لا يقبل الشك مستوى الإدراك عند هذه المخلوقات، ومن التجارب التي تثبت هذه الحقائق دون أدنى شك ما قام به علماء البيئة حيث وضع نباتاً في سندانة وبشكل أفقي وبعد فترة وجدوا أن الجذور توجهت تلقائياً نحو الأسفل وأن الساق المشتمل على البراعم توجهت تلقائياً نحو الأعلى، وما كان لتكون هذه العملية لولا ما أودعه الله في هذه النباتات من مواطن الإدراك، ومن ذلك ظاهرة أخرى أودعها الله عز وجل في هذه النباتات، لتؤكد قدرة الله سبحانه وتعالى وإبداعه في خلقهِ، حيث أن النبات إذا عطش يبدأ بامتصاص الماء الموجود في الأوراق ولا يقترب من الماء الموجود في الجذور، ثم بعدها يبدأ بامتصاص ماء الأغصان الموجودة في الفروع، وبعد أن يستهلك ماء الفروع يبدأ بامتصاص الماء الموجود في الجذوع والسيقان، وبعد أن يستهلك ماء الجذوع فآخر ماء يستهلكه النبات هو ماء الجذور حين يقطع عنه الري، فقد ينسى المزارع أن يسقي الزرع أياماً طويلة، وقد تقل السماء بماء المطر، لكن هذا النبات طيلة هذه الفترة يستخدم من الماء الذي لا يضر وجودهُ، فلما كانت حياة الزرع تكمن في جذورهِ تجد أن النبات يؤخر امتصاص الماء الذي في الجذور إلى آخر أجله، فإذا استهلك ماء الجذور ييست ويبس النبات معها، وهي المرحلة الأخيرة من مراحل حياته [1].

فمن أودع هذه الأسرار في النباتات، وكيف أدركت هذه الحقائق وكيف قامت بهذه العمليات المعقدة في سبيل المحافظة على حياتها، فسبحان الله الذي ألهم خلقهُ هذه المدارك، ومن صور العظمة في الخلق أن الله عز وجل جعل في كل ورقة من أوراق الشجر مادة يسميها العلماء باليخضور، وهذه المادة تتحول جزيئاتها إلى مفاعل حراري هائل إذا تعرضت لأشعة الشمس، فتقوم عندها بشطر جزيئات الماء في الورقة، وإذا انشطرت جزيئات الماء في الورقة، تحلل إلى هيدروجين وأوكسجين، في الوقت الذي لو أردنا أن نشطر جزيئات الماء في المختبر لكنا بحاجة إلى طاقة كبيرة تعدل تسخين الماء 2500 مرة.

وجاء في الموسوعة الأمريكية: أن المجموع الخضري في الأرض، يحول مئة بليون طن من الفحم في خمسة وعشرين بليون طن من الهيدروجين، إلى مواد غذائية، وإلى مئة مليون طن من الأوكسجين؛ من أجل أن يبقى الهواء ذا نسب نظامية من حيث الأوكسجين والأوزون وغاز الفحم [2].

1 ماهر أحمد الصوفي، آيات الله في الجبال والصحاري والغابات وفي النبات والثمار والأزهار، بيروت، صيدا: المكتبة العصرية، 2007م،ص 432.
2 مجموعة مؤلفين، الموسوعة الأمريكية، (أبو ظبي، المجمع الثقافي، المجلد 13.

المطلب السادس: الإعجاز في خلق الظل.

قال الشيخ رشيد الخطيب الموصلي في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَو شَاءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنا ثُمَّ جَعَلنَا ٱلشَّمسَ عَلَيهِ دَلِيلا**﴾ [الفرقان : 45]: "الظلُّ أمرٌ أصلي في هذا الكون، وضوء الشمس أمر عارض وطارئٌ عليه، ومن حكمتهِ سبحانه أنه خلق الشمس لتعالجهُ، وتصلح من شأنهِ في أمر الحياة، إذ لولاها لما كان في الظل أجسام حية، وفي ذلك دليلٌ على كمال حكمتهِ تعالى وسابغ نعمتهِ، واختصاصه بالربوبية والألوهية، وفي قولهِ ﴿ **وَلَو شَاءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنا**﴾ زيادة تحسيس بالنعمة وإكبار للرحمة، وتحذير من كفرانها، وهي جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، عجل بها قبل إتمام الكلام لما يقتضيه المقام، بمقتضى البلاغة العالية على نهج القرآن في مثل ذلك، والالتفاف من الغيبة [1]، في المعطوف عليه إلى التكلم في المعطوف لزيادة التحسيس بمنة الله في هذا المد للظل وعظيم آلائهِ فيه.

وضمير ﴿**ثُمَّ قَبَضنَٰهُ**﴾ يعود إلى الظل، والمراد من قبضه: محوُه شمس النهار والله أعلم، ويجوز أن يعود الضمير إلى هذا النظام الكوني، فإنه سبحانهُ يبدلهُ بما يلائم الحياة الثانية يوم القيامة، فيكون هناك ظل ممدود، وحال في المحسنين محمود، وذلك أمر يسير، وليس على الله بعزيز- هذا رأيي في الآية- والله أعلم، وقد ضمَّن ﴿**ثُمَّ قَبَضنَٰهُ**﴾ معنى: أرجعناهُ، ولذلك عداها بـ"إلى"، على نهج القرآن في مثل ذلك"[2].

ثم قال رحمهُ الله: "ومن حكمة الله سبحانهُ أن جعل الأرض كروية، تدور دورةً كاملة على نفسها كل أربع وعشرين ساعة، فيكون نصفها الذي يقابل الشمس مضيئاً، والثاني في ظل؛ لأنه محجوب عن الشمس، وشكل هذا الظل مخروطي، قاعدتهُ نصف وجه الأرض المظلم، وفي جانب هذهِ القاعدة الشرقي: الفجر، وفي جانبها الغربي الشفق الأبيض، وبدوران الأرض تتبدل حال البلاد على الأرض في الأربع وعشرين ساعة من حيث شروق الشمس عليها وانحجابها عنها، فالتي تكون منها في الظل المخروطي تكون في ليل، والتي تقابل الشمس تكون في نهار، وهكذا دواليك" [3].

إن من معجزات الله تعالى في خلقهِ، خلق الظل الذي هو علامة باهرةٌ ودلالةٌ على عجائب الله في خلقهِ، وقد ندبنا الله سبحانه إلى رؤية ذلك والتفكر فيه فقال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَو شَاءَ لَجَعَلَهُۥ**

---

1 هو أسلوب بلاغي يعني التحويل في التعبير الكلامي من اتجاه إلى آخر، أي نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، يعني من التكلم إلى الخطاب أو من الخطاب إلى الغيبة إلى غير ذلك. ينظر: البلاغة العربية أُسسها وعلومها، وفنونها: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط1، دار القلم، دمشق، 1996م، 479/1.

2 رشيد الخطيب الموصلي: تفسير أولى ما قيل، 371/5 – 372.

3 المصدر نفسه، 372/5.

سَاكِنا ثُمَّ جَعَلنَا ٱلشَّمسَ عَلَيهِ دَلِيلا ۞ ثُمَّ قَبَضنَٰهُ إِلَينَا قَبضا يَسِيرا﴾ [الفرقان: 45-46]؛ فأخبر تعالى أنه بسط الظل ومدهُ، وإنه جعلهُ متحركاً تبعاً لحركة الشمس، ولو شاء لجعلهُ ساكناً لا يتحرك.

ثم أخبر أنهُ قبضهُ بعد بسطهِ قبضاً يسيرا، وهو شيئ بعد شيء، لم يقبضهُ جملة، فهذا من أعظم آياتهِ الدالة على عظيم قدرتهِ، وحكمتهِ في هذا الفرد من مخلوقاتهِ، ولو شاء لجعلهُ لاصقاً ولم ينتفع به أحد، فإن الانتفاع بهِ تبعاً لمدهِ وبسطهِ، وتحولهِ من مكان إلى مكان، فلو كان ساكناً دائماً أو قبض دفعةً واحدة لتعطلت مرافق العالم ومصالحهُ ولتعذرت الحياة على الأرض [1].

فمن بديع صنع الله وقدرتهِ بسط الظل ومدهُ وقت النهار، حتى يستريح الإنسان بظل الأشياء من حرارة الشمس المتوهجة، إذ لولا الظلُ لأحرقت الشمس الإنسان وكدرت حياتهُ [2].

فالظل آية بليغة دالة على وحدانية الله وكمال قدرتهِ، ووجه الاستدلال بها على وحدانية الله وحكمتهِ في خلقهِ أن وجود الظل بعد العدم، وانعدامه بعد الوجود، وتغير أحواله زيادة ونقصاناً في الانبساط والتقلص على الوجه النافع للعباد، لا بد أن وراءهُ خالق عظيم ومدبر حكيم، قادر على تحريك الأجرام العلوية، وتدبير الأجسام الفلكية وترتيبها على الوجه الأكمل لتحصيل منافع العباد، وفي هذا شهادة على وحدانية الخالق وبديع صنعهِ في خلقه تعالى [3].

المطلب السابع: التناسق بين المخلوقات كماً ونوعاً.

قال الشيخ رشيد الخطيب الموصلي في تفسيره لقوله: ﴿**ٱللَّهُ يَعلَمُ مَا تَحمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلأَرحَامُ وَمَا تَزدَادُ وَكُلُّ شَيءٍ عِندَهُۥ بِمِقدَارٍ**﴾ [الرعد: 8]: "نظام عجيب دقيق، ألا ترى ذرات الأوكسجين والهيدروجين في الماء كيف أن الأول أضعاف وزن الثاني، والثاني أكبر حجماً، على نسب لو اختلت وزناً أو حجماً لفسد الماء، وترى مثل القمح والقطن وغيرهما مركبين من عناصر متحدة في الأكثر مختلفة الكمية في تركيب كل واحد منهما، وهذا الاختلاف هو الذي صيّر مادة القطن صالحة للِبس، ومادة القمح صالحة للأكل، وهكذا سائر الأشياء،

1 ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياد نعبدُ وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين بن قيم الجوزية (ت:751هـ، تحقيق: محمد بن المعتصم بالله، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996م، 273/3.

2 ينظر: ماهر أحمد الصوفي: آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية، ص 245.

3 ينظر: تفسير الرازي، 88/24.

حتى إن الحيوان والنبات يرجعان إلى عناصر واحدة تختلف في مقاديرها، أمَا في كل ذلك آية لهم لو كانوا يعلمون" [1].

وقال في موضع آخر: "وهكذا قدر سُبحانه وتعالى مركبات سائر الأشياء ومقدراتها ومواهبها وخصائصها لتصلح لما خلقت له وأريد منها، فكل مُيَسر لما خلق له، جلت حكمته الحكيم الخبير" [2].

إن من بديع صنع الله في خلقه هذا التناسق العجيب في المخلوقات، فإن الله عز وجل أحدث كل شيء إحداثاً روعي فيه الدقة في التقدير والتسوية، وقدرهُ تقديراً في تناسب دقيق، وضمن كميات موزونة ومهيئةٌ لإصلاح الحياة على الأرض [3].

فلو تأمل الإنسان هذهِ الأرض التي يعيش عليها، وكيف أن الله هيأ له ما يصلح من أسباب ديمومة الحياة عليها وضمن نسب رياضية دقيقة لو اختلت لاستحالت المعيشة عليها، فلو كانت القشرة الأرضية أكثر سمكاً مما هي عليه اليوم بمقدار عشرة أقدام لانعدم الأوكسجين ولانعدمت الحياة، إذ إن القشرة الأرضية إذا زاد سمكها عما هي عليه الآن ستمتص حينئذ الأوكسجين، وكذلك لو كانت البحار أعمق بضعة أقدام، أكثر من القاع الحالي لانجذب ثنائي أوكسيد الكربون والأوكسجين، ولاستحال وجود النباتات على الأرض فضلاً عن الحياة [4].

ولو أن ما في الجو من ثنائي أوكسيد الكربون لا يتغذى عليه النبات لاحترق الإنسان واختنق جميع الكائنات الحية على الأرض [5].

المطلب الثامن: الحكمة في اختلاف الألسن والألوان.

قال الشيخ الخطيب الموصلي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ**﴾ [الروم: 22]: "اختلاف الألسنة باختلاف أصواتها ونغماتها، حتى إنه لا يشتبه صوتان من شخصين هما أخوان، ولو كانا توأمين، وكذلك الألوان، فلا تشتبه ملامح وجهين هما أخوان بل توأمان، وهذا من كمال حكمتهِ تعالى وبديع صنعهِ، ولولا هذا التمايز بالأصوات والملامح لنشأ من الاشتباه

1رشيد الخطيب الموصلي: تفسير أولى ما قيل، 354/4-355.

2 المصدر نفسه، 354/5.

3 ينظر: عبد العليم عبد الرحمن خضر: الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، ص403.

4 ينظر: وحيد خان: الإسلام يتحدى، مدخل علمي إلى الإيمان، ص72.

5 ينظر: فهد خليل زايد: الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، ص 78.

فساد كبير في نظام العالم الإنساني وحالاتهِ الاجتماعية وأقلهُ أن يشتبه الزوج على زوجهِ، وصاحب المال على العمال مثلاً، وناهيك في ذلك من اختلاف الحالة الاجتماعية وانتشار الفوضى والفساد والله أعلم" [1].

ثم قال في موضع أخر: "لو تأمّلت الجلد والغشاء كيف ينبسطان على سطح الأعضاء ويحويانها كاللفائف، ويصير الجلد حافظاً لها، يحفظ جواهرها وأشكالها عما يطرأ عليها، وقد ركبت جميع أعضاء الإنسان وأجزائها تركيباً متناسقاً.... فإذا تأملت كل ذلك أدركت عجز القلم والبيان عن التصوير لعظمة الخالق الحكيم" [2].

إن من آيات الله البالغة الدالة على وجوده وإبداعهِ في خلقهِ، اختلاف الألسنة والألوان، فاختلاف اللغات بين بني البشر مع كونهم من أب واحد وأصل واحد، لمن عجائب خلقهِ وحكمتهِ جل جلاله.

يقول تعالى: ﴿**وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ**﴾ [الروم: 22]، أي واختلاف لغاتكم اختلافاً لا حَدّ له، مما لا يعلمُ حصره إلا خالق اللغات كما أن من آياتهِ ودلائل قدرتهِ ووحدانيتهِ، اختلاف أنواعكم وأشكالكم، اختلافاً يمكن من خلاله التمييز بين الأشخاص في الأصوات والألوان، وهذا مما لا غنى عنه في منازع الحياة ومختلف أغراضها، فكثيراً ما تميز الأشخاص بالأصوات والألوان على كثرتهم وتباينهم مع أن الأصل واحد ومخارج الحروف واحدة، ومع ذلك لا تكاد تجد صوتين متفقين من كل وجه، ولا لونين متشابهين من كل وجه، بل ستجد من الفروق بينهما ما به يحصل التميز، وهذا من أعظم الأدلة على كمال قدرتهِ، ونفوذ مشيئته[3].

وحكمة الله في اختلاف الألوان جاءت متناسبة مع حاجة الخلق وتكوينهم بما يتناسب والبيئة التي يعيشون فيها، فإنه يوجد في أدمة الجلد خلايا عنكبوتية تمتد على جوانبها زوائد رقيقة، ويصل عدد هذهِ الخلايا في كل بوصة مربعة إلى ستين ألف خلية تكون هي المسؤولة عن إخفاء الصبغة اللونية للبشرة، واختلاف الألوان نابع من تركز مادة الميلانين في هذه الخلايا [4].

فإن المتأمل في الاختلاف في بشرةِ الشعوب التي تعيش حول خط الاستواء، وبين التي تعيش في نصف الكرة الشمالي، يستطيع أن يجد تفسيراً علمياً لهذا التباين والاختلاف بين هذه الشعوب، فاللون الداكن الذي

1رشيد الخطيب الموصلي: تفسير أولى ما قيل، 563/5

2المصدر نفسه، 161/7.

3 ينظر: أحمد بن مصطفى المراغي: تفسير المراغي، (ت:1371هـ، ط1، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1946م، 38/21، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت:1376هـ تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م، 639/1.

4 ينظر: زغلول النجار: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص 147.

تتحلى به الشعوب الاستوائية هو أكثر مقاومة للأشعة فوق البنفسجية الضارة وهذا ما جعل هذهِ الشعوب ذات لون داكن لتستطيع مقاومة أشعة الشمس العمودية الشديدة الحرارة في خط الاستواء، على خلاف الشعوب ذوات البشرة الفاقعة التي تعيش بعيداً عن خط الاستواء [1].

المطلب التاسع: قوة التجاذب بين الأجسام.

قال الشيخ رشيد الخطيب الموصلي في تفسيره قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يُمسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِن أَمسَكَهُمَا مِن أَحَد مِّن بَعدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورا**﴾ [فاطر: 41]، قال الشيخ: "إن الله سبحانهُ يمنع كلّ منهما من أن تجنح أو تخرج من مكانها، ولئن جنحتا بإذنهِ تعالى؛ من الذي يقدرُ على منعهما من ذلك وحفظهما منهُ غيرهُ؟ يتمجد سبحانه ويتوعد بقدرتهِ البالغة على السلب والإيجاب والمنع والإعطاء، والله على كل شيء قدير؛ وهذا الإمساك جرى بسننٍ كونية من سنن الله، وهي التعادل في قوة التجاذب بين الأجرام، وقوة التسيب عن بعضها الناتج من حركتها، فأخذت تدور بتوازنٍ حول بعضها في أفلاك لا تخرج عنها، وقد جاء في الأثر: «بالعدل قامت السماوات والأرض»"[2][3].

إن الجاذبية العامة قانون كوني موجود في طبيعة الأشياء كلها، ويعمل في صمتٍ في الأرض والسماء، فقوة الجاذبية هي التي تجعل الشمس تُمسك بالأرض فتدور حولها، في مدارات ثابتةٍ وضمن قياسات دقيقة لا تتغير.

وقانون الجاذبية هذا ينص على أن أي كتلتين في الوجود بينهما قوة تجاذب تتناسب طردياً مع حاصل ضرب الكتلتين، وعكسياً مع مربع المسافة الفاصلة بينهما، أي أنَّ قوة الجاذبية تزداد بزيادة كل من الكتلتين، وتنقص بنقصهما، بينما تزداد هذهِ القوة بنقص المسافة بينهما وتقل بازدياد المسافة طبقاً لما يسمى بقانون التربيع العكسي [4].

﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يُمسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِن أَمسَكَهُمَا مِن أَحَد مِّن بَعدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورا** ﴾ [فاطر:41]، ﴿**وَيُمسِكُ ٱلسَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلأَرضِ إِلَّا بِإِذنِهِۦٓ**﴾ [الحج: 65]، ﴿**ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيرِ عَمَد تَرَونَهَا**﴾ [الرعد: 2]؛ فالسماء مشدودة بغير عمد، وممسوكة بقانون الجاذبية،

---

1 ينظر: زغلول النجار: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص 147.

2 ينظر: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ذكرهُ الجبرتي في عجائب الآثار مرفوعاً من غير سند، ولم أجدهُ في كتب الحديث، (ت: 1237هـ، ط1، دار الجيل، بيروت، (د.ت، 12/1.

3 رشيد الخطيب الموصلي: تفسير أولى ما قيل، 158/6.

4 ينظر: عبد العليم عبد الرحمن خضر: الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، ص 229.

فكل ما في الكون مشدود بعضهُ إلى بعض بقوةٍ وإحكام بواسطة قانون الجاذبية، فكل شيء على الأرض منجذبٌ إليها بحكم هذا القانون ولولا ذلك لتطاير جميع ما على الأرض وانفك عنها، فلولا هذا القانون لفاضت البحار والأنهار وغرقت الأرض بمن عليها، ولكن مياه كل منهما محبوسٌ فيها، بحكم قانون الجاذبية، ولولا هذا القانون لانفرط كلُ ما في الكون وتناثر في الفضاء، ولكن بحكم هذا القانون بقيت جميعُ هذهِ المخلوقات الكونية بما فيها من نجوم وكواكب وكويكبات ونيازك محبوسة تجري في مداراتها [1].

المطلب العاشر: الإعجاز في خلق الإبل.

قال الشيخ رشيد الخطيب الموصلي إلى أكثر هذه المعاني في معرض تفسيره لآية الإبل فقال: "وإنما تكلم عن الإبل؛ لأنها أفضل دواب العرب وأعمها لهم نفعاً؛ ولأنها على الحقيقة خلق عجيب بأوضاعها وأحوالها وأعضائها؛ ومن ذلك ما قاله بعض علماء الحيوان: إن سنام ظهر الجمل معينٌ لكثرة الحمل عليه واحتماله للثقل، وأوصال ركبتهِ وعراقيبهِ كبار صلاب، وأوتارها وعروقها متينة شديدة، وعصبه وثيقٌ لم يشتد ليهون عليه البروك والنهوض بحملهِ، مع تسهيل الارتقاء عليه في ذلك"[2].

ويستمر الشيخ فيقول: "وفي الجملة إن تركيبها وطبيعتها ما أعدّها لحمل الأثقال إلى المكانات البعيدة، وانقيادها للضعيف والصغير مع عظم جسمها وقوتها، وبروكها لتحمل عن قرب ويسر، ثم تنهض بما تحمل مع صبر على اليسر والعطش والجوع، ومع اكتفائها من المرعى بما لا يكاد يرعاه سائر البهائم، وفيها غير ذلك من المزايا الصالحة للصحاري؛ ومن عجيب أمرها أنها تبصر إذا أغمضت عينها؛ وذلك أنها خُلقت لتكون صالحة لاحتمال عواصف الرمال في الصحاري، فلها جفنان: جفن رقيق شفاف، وجفن سميك، فإذا أسدلت الأول وأطبقت الثاني قليلاً أمكنها رؤية الأشياء كأنها تنظر بالمنظرة"[3].

﴿**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيفَ خُلِقَت**﴾ [الغاشية: 17]، في هذه الآية الكريمة يحضُنا الله عز وجل على التفكير والتأمل في خلق الإبل، باعتبارهِ خلقاً دالاً على عظمة الخالق وكمال قدرتهِ وحسن تدبيرهِ، لما خص الله هذا المخلوق من خصائص ولما فيه من الغرائب والعجائب ما جعلهُ معجزةً من معجزات الخلق [4].

---

1 ينظر: فهد خليل زايد: الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، ص80.

2رشيد الخطيب الموصلي: تفسير أولى ما قيل، 222/8 – 223.

3رشيد الخطيب الموصلي: تفسير أولى ما قيل، 222/8 – 223.

4 ينظر: زغلول النجار: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة،، ص 474.

فقد خص الله جل جلاله الإبل بخصائص لا تجدها في حيوان آخر، فهو متعدد المنافع متعدد الفوائد، أنيس في الصحراء، يحمل عن الإنسان المشاق، والعذاب وحر الشمس، فيسقيك إذا عطشت، ويطعمك إذا جعت، ويحميك إذا فزعت، فأنت على ظهرِهِ آمنٌ مطمئن، فهو الحيوان الذي لا يخون، ولا يغدر، ولا ينقض العهد، ولا يمنُ عليك بفضل، وليس هو بالشحيح ولا بالبخيل، فهو خيرُ صديق في سفر، وخيرُ رفيق في حضر، ولكن حاذر أن تخونهُ أو تغضبهُ أو تفعل شيئاً تثير به عواطفهُ فيهتاج ويغتاظ، فإن الله قد ركب فيه من الغرائز والعواطف ما ينبغي مراعاتها واحترامها لمن أراد الاستفادة منه [1].

ولو تأملت عجيب خلق هذا المخلوق، وما ركب الله فيه من إبداع وتدبير يشهد للخالق بالألوهية والربوبية والوحدانية المطلقة، فإن الله جعل فيه من الصفات الجسدية ما تمكنهُ من العيش في أقسى البيئات، فضخامة الجسم، وارتفاع القوائم، وطول العنق تناسق بديع يمكنهُ من السرعة، واتساع مجال الرؤية، واختزان كميات كبيرة من الماء والغذاء والدهون لتمنحهُ الطاقة وتعينهُ على احتمال الجوع والعطش لفترات طويلة لا يقوى عليها حيوان آخر [2].

فأما العينان فهما يتميزان بقدرتهما على التكبير والتقريب فيقربان له البعيد ويكبران له الصغير؛ ليمكنهُ من الرؤية لمسافات بعيدة جداً، مما يوسع لديه مجال الرؤية، كما أن لعين الجمل طبقتين محاطتان بالأهداب الطويلة لتقيهِ القذى والرمال حين تهب عواصف الصحراء [3].

وأما رأس الجمل فقد انتصب على عنق مرتفع وقد ضم الرأس وحوى مصادر الإحساس عند الجمل فبالإضافة إلى العينين فإن للجمل منخرين أعطاهما الله القدرة على الانغلاق كلياً تحاشياً لرمال الصحراء العاصفةِ، ومنعاً لجفاف القصبة الهوائية، والمحافظةِ على الرئتين، وعلى جانبي الرأس تكون الأذنان وهما صغيرتان بالنسبة إلى حجم الجمل ممتدان يكشف كلاً منهما شعرٌ كثيف ليقيهما من الرمال العاصفةِ ولهما القدرة على الانثناء إلى الخلف والالتصاق بجانبي الرأس لمنع دخول الرمال فيهما عند هبوب العواصف الرملية، وللجمل شفتان عريضتان، السفلى منهما مشقوقة لتمكنهُ من تناول الأعشاب الشوكية دون أن تؤذيه، فهما لا يتأثران بقدرةِ الشوك لكونهما مطاطيتان قاسيتان تلتهمان الأشواك الحادة دون أن تتأثرا [4].

---

1 ينظر: ماهر أحمد الصوفي: آيات الله في خلق الحيوانات البرية والبحرية وبعثها وحسابها، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2007م، ص132.

2 ينظر: زغلول النجار: الحيوان في القرآن الكريم، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2006م، ص274.

3 ينظر: زغلول النجار: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص474.

4 ينظر: زغلول النجار: الحيوان في القرآن الكريم، ص274.

وللجمل قوائم طويلة تبعدهُ عن التأثر بحرارة الأرض عند المشي، وترفع جسمهُ عن كثير مما يثور تحتهُ من غبار، وتساعدهُ على توسيع الخطى، وسرعة وخفة الحركة، وفي أسفل قوائم الجمل أقدام مغلفة بخف مكون من جلد قوي غليظ يضمُ وسادةً عريضةً لينة تتسع عندما يطأ الجمل بها الأرض، وتمكنهُ من السير بسهولةٍ فوق أكثر الرمال نعومة، ومما يناسب طول وارتفاع قوائم الجمل طول عنقهِ ليمكنهُ من تناول طعامه بقضم أوراق الأشجار المرتفعة حين يصادفها، هذا فضلاً أنَّ هذا العنق الطويل يزيد الراس ارتفاعاً عن الأقذاء، ويساعد الجمل على النهوض بالأثقال [1].

والجمل حين يبرك للراحة أو يناخ به للرحيل، فإنه يعتمدُ جسمهُ الثقيل على وسائد من جلد قوي سميك تتمركز بعضها أسفل صدرهِ تُعرف باسم الكلكل ووسائد أخرى مشابهة فوق كل ركبة من رُكبهِ يرتكز بثقلهِ عليها إذا أراد البروك بحيث تمكنه من البروك على الرمال الخشنة، والرمال الشديدة الحرارة، والأراضي التي فيها بعض النتوءات الصخرية دون أن يتأثر بها أو يشعر بالأذى [2].

ومن صفات الجمل الجسدية، أن خلق الله له جلداً غليظاً سميكاً يجعله قادراً على تحمل العواصف الحارة المحملة بالرمال عند هبوبها، وعلى مقاومة لسعات الحشرات وقرصات الحيوانات، ويتمتع هذا الجلد بكونهِ قليل المرونة يغطيه وبرٌ سميك يعمل على تدفئة جلد الجمل في الشتاء، والمحافظة على حرارته من التصرف إلى الخارج، وتحميهِ من حرارة الشمس الحارقة في الصيف، كما أنَّ له لوناً فاتحاً يعكس أشعة الشمس، وكذلك يمتاز جلد الجمل بقلة الغدد العرقية فيهِ مما يقلل من فقدان مخزونه المائي عن طريق التعرق [3].

وقد ميز الله عز وجل الجمل عن كثير من المخلوقات بميزات ساعدته على العيش والتكيف في أصعب الظروف، ومن هذهِ الميزات والخصائص أنه زود بجهاز هضمي يختلف عن جميع الحيوانات المجترة، إذ زود جهازه الهضمي بالعديد من الأنزيمات المنتجة فيه والكائنات الدقيقة المتعايشة معه لتقوم بتحليل المواد السيليولوزية القاسية في معدةِ الاجترار إلى عدد من المركبات النيتروجينية مثل الأمونيا واليوريا والبروتينات والدهون، وفي تجهيز عدد من الفيتامينات اللازمة لحياة الجمل حتى أنَّ بعضها يصل تركيزهُ إلى خمسة عشر ضعفاً لما هو موجود في

1 ينظر: زغلول النجار: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص475.

2 ينظر: ماهر أحمد الصوفي: آيات الله في خلق الحيوانات، ص 134.

3 ينظر: زغلول النجار: الحيوان في القرآن الكريم، ص275.

باقي أجساد الحيوانات المجترة، مثل فيتامين د، على الرغم من فقر غذاء الجمل بصفةٍ عامة إلا أنَّ هذا الفيتامين يلعب دوراً مهماً في تركيز الكالسيوم في العظام وهو الأمر الذي يحتاجهُ الجمل لهيكله العظمي الضخم [1].

وقد ميز الله عز وجل الجمل بأنه لا يتنفس من فمه ولا يلهث أبداً مهما اشتد الحر أو اشتد به العطش، وهو بذلك يتجنب تبخر الماء من هذا السبيل، كما أنه يمتاز بقدرة جسمه على التكيف مع ظروف الصحراء القاسية، فإن جسمه لا يفرز تعرقاً إلا عند الضرورة القصوى، وإن جهاز ضبط الحرارة في جسم الجمل يستطيع أن يجعل مدى تفاوت الحرارة نحو سبع درجات كاملة دون ضرر، أي بين (34°-41°) ولا يضطر الجمل إلى التعرق إلا إذا تجاوزت حرارة جسمهُ (41°) ويكون هذا في فترة قصيرة من النهار، أمّا في المساء فإنه يتخلص من الحرارة التي اختزنها عن طريق الإشعاع إلى هواء الليل البارد دون أن يفقد قطرة ماء، وهذهِ الآلية وحدها توفر للجمل خمسة ألتار كاملة من الماء [2].

فهذه الصفات قليل من كثير مما وهب الله عز وجل هذا المخلوق العجيب، فكان بحق آية من آيات الخلق، وعجيبة من عجائب المخلوقات؛ ولهذا أمرنا أن نتدبر ونتأمل عجائب هذا المخلوق.

المطلب الحادي عشر: الازدواج في الخلق.

قال الشيخ رشيد الخطيب الموصلي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**سُبحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلأَزوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ ٱلأَرضُ وَمِن أَنفُسِهِم وَمِمَّا لَا يَعلَمُونَ**﴾ [يس: 36]، قال: "إن في النباتات أزواجاً كما في الإنسان والحيوان، وقد أثبت ذلك العلم الحديث، كذلك قولهُ: ﴿ **ٱلأَزوَٰجَ كُلَّهَا**﴾ فقد ظهر في مثل الكهرباء وغيرها الازدواج على هذهِ الوتيرة أيضاً" [3].

وقال في موضع آخر: "ومن كل شيءٍ خلقنا زوجين، ذكراً وأُنثى حتى من النبات... لعلكم تذكرون قدرة الله وحكمتهُ، فتخشونهُ وتتيقنون أنه قادرٌ على إعادتكم وعلى إنجاز ما وعد به وأوعد من أحوال الآخرة" [4].

إن من آيات الله عز وجل التي تُظهر قدرتهُ وإعجازهُ تلك التي تتحدثُ عن آيات الله في خلق الأزواج سواء في الإنسان أو الحيوان أو النبات، أو غيرها من مخلوقات الله التي لا يعلمُ قدرها إلاَّ خالقها سبحانهُ، ﴿**وَمِن كُلِّ شَيءٍ خَلَقنَا زَوجَينِ لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ**﴾ [الذاريات: 49]، فهذه الآية صريحة في ذكر التزاوج في الخلق، وهذا

1ينظر: زغلول النجار: الحيوان في القرآن الكريم، ص 276.

2ينظر: زغلول النجار: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص479.

3رشيد الخطيب الموصلي: تفسير أولى ما قيل، 173/6.

4المصدر نفسه،167/7.

الازدواج قد يكون معلوماً للكثيرين من الناس بالنسبة للإنسان أو الحيوان لكن الجديد في الأمر هو التزاوج في النباتات، ﴿**سُبحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلأَزوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ ٱلأَرضُ وَمِن أَنفُسِهِم وَمِمَّا لَا يَعلَمُونَ**﴾ [يس: 36]، فالله تعالى يذكر في هذه الآية عن الأزواج في النباتات، في الوقت الذي كان الإنسان يرى الزوجية في البشر من ذكر وأنثى وفي الحيوان والطير، ولم يكن ليهتدي إلى معرفة الزوجية في الإنبات حين نزلت هذهِ الآيات [1].

فإن عملية التزاوج بين النباتات لم يكتشف إلا من مدة ليست بالبعيدة، ولهذا ذهب كثير من أهل التفسير من المتقدمين إلى تأويل آيات التزاوج في النباتات إلى تعدد الأنواع والأصناف بين الزروع والثمار ما بين حامض وحلو وسائر الأنواع [2].

أما التفسير العلمي الذي تضمنتهُ الآيات السابقةُ الذكر فهي تدل دلالة واضحة على الزوجية في النباتات، أعني أن في النباتات ما يحمل خلايا ذكورية في أعضاء التكاثر فيه، ومنها ما يحمل الخلايا الأنثوية في أعضاء التكاثر فيه، وتتم عملية الإخصاب في النباتات بين الزهور والتي بدورها تنتج البذور القابلة للإنبات، حيث أن كل بذره تحتوي على جنين النبتة الجديدة، وهذا عادةً ما يكون في النباتات المزهرة، وأما النباتات غير المزهرة فتتكاثر عادةً بالنوعين الجنسي وغير الجنسي وعلى مرحلتين في دورة واحده حيث ينتج النبات الواحد كلا من الخلايا الجنسية الذكرية والأنثوية وتنفصل الخلايا الذكرية فتتحرك في الأوساط المائية للوصول إلى خلية أنثوية من نبات آخر من نفس النوع فيقوم بتلقيحها وتتم عملية الإخصاب باتحادهما معاً، وأما المرحلة الثانية من التكاثر فتكون بإنتاج النبات خلايا تناسلية تسمى الأبواغ، فتتناثر هذهِ الأبواغ على النبات التي يحملها عند نضجها ثم تنمو في الأوساط المناسبة لها فتكون نباتاً جديداً [3].

المبحث الثاني: التفسير العلمي المتضمن لبعض الحكم التشريعية

المطلب الأول: الحكمة من تشريع الصيام.

قال الشيخ رشيد الخطيب الموصلي في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَمَن تَطَوَّعَ خَيرا فَهُوَ خَير لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَير لَّكُم إِن كُنتُم تَعلَمُونَ**﴾ [البقرة: 184]. قال الشيخ: "أي الصيام خير لكم لما فيه رياضة الجسد والنفس، وتربية

1 ينظر: ماهر أحمد الصوفي: آيات الله في الجبال والصحاري والغابات وفي النبات والثمار والأزهار والألوان، ص 412.

2 ينظر: تفسير أبن كثير، 484/8.

3 ينظر: ماهر أحمد الصوفي: آيات الله في الجبال والصحاري والغابات وفي النبات والثمار والأزهار والألوان، ص 414.

الإرادة وتغذية الإيمان، وتقويتها بمراقبة الله تعالى، ويدفع عن النفس والجسم الكثير من الأمراض ويقيها الكثير منها، وهو يهذب الطباع ويستثير الرحمة، ويحيط الإنسان بكثير من الفوائد والخيرات"[1].

ثم قال رحمه الله: "وقد أثر عنه ﷺ أنه قال: «صوموا تصحوا» [2]، فالصيام وإن كان فيه كلفة العلاج لا شك أنه مفيد فائدته، فقد قالوا: إنهُ يفني المواد المترسبة في البدن، ويجفف الرطوبة الضارة، ويطهر الأمعاء من السموم، ويذيب الشحم الذي هو شديد الخطر على القلب؛ وقال بعض أطباء الإفرنج: إن صيام شهر في السنة يُذهب الفضلات الميتة في البدن مدة سنة كاملة؛ وقال طبيب أمريكي ينصح قومهُ بالانقطاع عن الطعام مدداً من الأيام في كل عام، لأنَ الجراثيم مادامت تجد الطعام متوفراً في جسم الإنسان، فإنها تتكاثر وتنمو، وبالصوم تضعف وتذبل، ثم امتدح الدين الإسلامي حيث فرض الصيام" [3].

ثم قال رحمه الله: "وعلى كلٍ فقد قرر جهابذة الأطباء أن الصوم علاجٌ لعدد من الأمراض الفتاكة، كالضغط الشرياني، وتشحم القلب، وتحميض الدم، كما أنه هدنة سنوية تستريح فيها أجهزة الجسم عامة، والجهاز الهضمي خاصة من عناء العمل، وتعطي فرصة للتخلص من السموم والمواد الدهنية الزائدة عن حاجة الجسم، جلت حكمة الحكيم العليم" [4].

لقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز أنه فرض الصيام على جميع الأمم كما أنه فرض الصيام على أمتنا ثم بين جل جلاله الحكمة من ذلك فقال الله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: 183]، فبين أنه سبيلٌ للتقوى الإيمانية التي تحجزنا عن المعاصي والآثام، وسبيلٌ للوقاية من الكثير من العلل والأسقام الجسمانية والنفسية، وقد جاء في الحديث قوله ﷺ: «الصيام جُنَة» [5]، أي: وقاية [6].

فالصيام من أعظم أسباب الوقائية من الأمراض والأسقام ومن الذنوب والآثام، وقد أشار المتخصصون إلى أنه في شهر رمضان تختفي كثير من الأمراض الباطنية مثل ضغط الدم، وبعض أمراض القلب، وكثير من الأمراض

---

1 تفسير أولى ما قيل: رشيد الخطيب الموصلي، 263/2 .

2 معجم الطبراني الاوسط، باب حديث موسى بن زكريا، برقم:8312، 174/8، قال عنه الالباني اسنادهُ ضعيف وهو صحيح المعنى . ينظر: ضعيف الجامع: رقم 3504، 795/1.

3 رشيد الخطيب الموصلي: تفسير أولى ما قيل، 264/2 .

4 المصدر نفسه.

5صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، برقم: 1894، 24/3 .

6 ينظر: عبد الله المصلح وأخرون: الإعجاز العلمي في القران والسنة، ص278 .

الجلدية، كما أن في الصوم تجدداً للخلايا والأنسجة في جسم الإنسان، والصوم يقضي على الكثير من البؤر الصديدية التي تفرز سمومها في الدم، وبالصوم تتجدد حيوية الإنسان فينشط الذهن، وتنشط أجهزة الدفاع والمقاومة في الجسم، وتتجدد الخلايا وتستريح جميع أجهزة الجسم فيخفف التوتر النفسي، ويخلد الإنسان للنوم، ويخف عنه الضغط النفسي، فيستعيد نشاطه وحيويته [1].

فالصيام يخفف العبء على الجهاز الهضمي بشكل خاص، فيعكس ذلك بشكل إيجابي على جميع أجهزة الجسم، لأن الجهاز الهضمي من أكثر الأجهزة عملاً وتحملاً لأعباء الهضم فالتخفيف عنه يساعد في إراحة جميع أعضاء الجسم كافة [2].

ومن فوائد الصوم العلاجية التي أثبتها الطب الحديث، أن الصوم يعطي أجهزة التفريغ والإطراح فرصة لتستعيد نشاطها وقوتها، كي يتحسن أدائها الوظيفي في تنقية البدن، فبالصوم يستطيع الجسم تحليل المواد الزائدة والترسبات المختلفة داخل الأنسجة المريضة، لذا نرى الإجماع الطبي على ضرورة إجراء الفحوصات المختبرية الدموية للمريض على الريق [3].

والصوم يوقف عملية امتصاص المواد المتبقية في الأمعاء، ويعمل على طرحها، والتي يمكن أن يؤدي طول مكثها إلى تحولها لنفايات سامة، كما أنه يُعد الوسيلة الأهم في طرد السموم المتراكمة في الجسم [4].

كما أن الصوم يُعد من أفضل الوسائل في تخليص الجسم من شحومه المتراكمة والوزن الزائد الذي يشكل عبئاً ثقيلاً على الجسم مما قد يصيب الإنسان بما يعرف بداء السمنة المفرطة، فالصوم يعد من أحسن الوسائل المجدية في معالجة هذا الداء [5] .

كما أن في الصوم فائدة عظيمة لكثير من مرضى القلب، وذلك لأن 10% من كمية الدم التي يدفع بها القلب إلى الجسم تذهب إلى الجهاز الهضمي أثناء عملية الهضم، في حين أن هذه الكمية تنعدم أثناء الصوم حيث لا توجد عملية هضم أثناء النهار، مما يخفف الجهد على عضلة القلب، كما أنه يُعد علاجاً شافياً لكثير من أمراض العصر، كمرض السكر، والضغط، وتصلب الشرايين، والنقرس وغيرها، فهو يخفف العبء على جهاز

1 ينظر: ماهر أحمد الصوفي: آيات الله في الإعجاز اللغوي والبياني والتشريعي والغيبي في القران الكريم:، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 2007م، ص461.

2 ينظر: عبد السلام اللوح : الإعجاز العلمي في القران الكريم، ص233 .

3 ينظر: محمد طواش: فوائد واضرار الصيام، بحث نشر على الشبكة العنكبوتية، موقع مكتبة صيد الفوائد، ص17.

4 المصدر نفسه .

5ينظر: عبد السلام اللوح: الإعجاز العلمي في القران الكريم، ص 234.

الدوران، والجهاز الهضمي، والجهاز البولي ويقلل نسبة الدسم وحمض البول في الدم، فيقي الجسم من الكثير من أمراض التغذية [1] .

المطلب الثاني: الحكمة من جعل العبادات على التوقيت بالأهلة.

قال الشيخ رشيد الخطيب: "والقمر قدرناه منازل في سيره حول الأرض، وبذلك تختلف صوره وأشكاله المضيئة لنا، فهو في كل ليلة على شكل معين في مقدار الضياء الذي يبدو لنا من وجهه، مختلف عن سابقهِ ولاحقهِ قليلاً، كما هو مشاهد بالعين، فتراه وقد ظهر هلالاً كالعرجون القديم بتقدير الله العزيز العليم" [2].

ثم بين رحمه الله الحكمة في اعتماد الشرع في مواقيت العبادات على التوقيت القمري فقال: "إن الأهلة مواقيت لهم في صيامهم وحجهم من العبادات، وفي نحو عدة النساء وآجال العقود من المعاملات، فإنَّ التوقيت بها يسهل على العالم بالحساب والجاهل به، وعلى أهل البدو والحضر، فهي مواقيت لجميع الناس، بخلاف السنة الشمسية، فإنها لا تصلح إلا للحاسبين من أهل الحضر، بعد ارتقاء العلوم والرياضية" [3].

ثم قال رحمه الله في مواضع آخر: "قدره منازل، أي ينزل كل ليلة في واحدة منها لا يخطئها ولا يتخطاها، يكون هلالاً، ولا يزال يتزايد حتى يكتمل فيكون بدراً، لا يزال يتناقص حتى يكون محاقاً وهكذا دواليك.

ثم بين فوائده المنوطة بالمكلفين، على نهج القرآن في ذلك، قال: ﴿**إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ**﴾ [يونس: 5]، أي: ليضبط عباداتكم ومعاملاتكم الدينية والمدنية، فإن هذا النظام المشاهد في الأشهر سهل الضبط على جميع الناس، خلافاً لحساب السنين الشمسية والأشهر الشمسية، لأن ذلك لا يعرفهُ إلا الحسّاب، لذلك جعل الشرع الإسلامي شهر الصيام وأشهر الحج وعدة الطلاق وغيرها من الأمور الشرعية بالحساب القمري الذي يعرفهُ كل أحد من سائر طبقات الناس، وكذلك لعبادتي الصوم والحج بمقتضى الأشهر القمرية حكمة أخرى، وهي دورانهما في جميع فصول السنة، فيعبد المسلمون ربهم في جميع الأوقات، من حارة وباردة ومعتدلة وطويلة وقصيرة، ويتدرجون في ذلك، فلا يشعرون في الحر ومشقته شعوراً قوياً لا يطاق، وذلك بسبب هذا التدرج "[4].

---

1 محمد طواش: فوائد واضرار الصيام، ص18.

2رشيد الخطيب: تفسير أولى ما قبل، 174/6.

3رشيد الخطيب الموصلي: تفسير أولى ما قيل،279/2.

4 المصدر نفسه، 155/4-156.

احتاج الناس منذ القدم التوقيت لمعرفة السنين والأيام فاختلف الناس في اعتماد الظاهرة التي يؤقتون لأجلها، فوقت بعض الأمم والشعوب بالشمس، وآخرون بميلاد المسيح، وآخرون بالنجوم، فظهرت بذلك عدة تقاويم منها على سبيل المثال التقويم القطبي، والتقويم السرياني، والتقاويم الميلادية وغيرها من التقاويم [1].

ولما بزغ فجر الإسلام، وأرسل الله رسولهُ بدين الحق ليظهره على الدين كله، خصه بجملة خصائص ميزته عما قبلهُ من الأديان والشرائع، فكان من جملة ما تميز به اعتماده في العد والحساب على منازل القمر، وربط العبادات بتلك المنازل، قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ**﴾ [يونس: 5] .

فمن المعلوم وبالمشاهدة أن العد بالاعتماد على منازل القمر يبدأ بظهور الهلال ورؤيته فيكون بذلك أول الشهر، "فالقمر كوكب منير يدور حول الأرض ينتقل في منازله الثمانية والعشرين منزلة بدقة فائقة وحساب دقيق، ليعرف بذلك سكان الأرض عدد السنين والحساب، إذ لولاهُ لما عرف يوم، ولا أسبوع، ولا شهر ولا سنة، ولا قرن، فالقمر يبدأ هلالاً صغيراً ويأخذ في الظهور فيكبر بظهورهِ شيئاً فشيئاً حتى يصبح في نصف الشهر بدراً كاملاً، ثم يأخذ في الأفول والاضمحلال بنظام عجيب حتى يكون في أخر الشهر كالعرجون القديم" [2] .

ويمكن تفسير هذه الظاهرة علمياً بعلاقة القمر بالشمس والأرض، فيعد القمر تابعاً من توابع الأرض، وهو جرم مظلم فإذا وقعت عليه أشعة الشمس استنار بها، فالقمر يدور حول الأرض وبدورانهِ هذا يقع على خط واحد بين الأرض والشمس فيواجه الأرض بكليته فتحجب عنه ضوء الشمس فيكون مظلماً تماماً وتسمى هذه المرحلة علمياً باسم مرحلة الاقتران، وبعرف شكل القمر فيها باسم المحاق، وتستغرق هذه المرحلة ليلة إلى ليلتين تقريباً، ثم يبدأ القمر في التحرك ليخرج من هذا الوضع فينحرف في دورانه فيخرج عن ظل الأرض قليلاً فيولد الهلال وهو بمقدار قلامة الظفر، فيتجدد بمولده بداية شهر قمري جديد، وهو أول منزلة من منازل القمر، وباستمرار تحرك القمر في دورته البطيئة حول الأرض تزداد مساحه الجزء المنير منه حتى يصل إلى التربيع الأول في الليلة السابعة من الشهر القمري، ثم لايزال يتحرك في دورانه فينتقل بين منازله حتى يصل في ليلة الحادي عشر إلى منزلة الأحدب الأول ثم البدر الكامل في ليلة الرابع عشر والتي يكون فيها القمر بمواجهة الشمس مباشرةً، ثم تبدأ الأرض بحركتها حول الشمس فتحجب القمر عن الشمس شيئاً فشيئاً، فيبدأ القمر بالتناقص بعد منزلة البدر فيتحول إلى مرحلة الأحدب الثاني وذلك في حدود ليلة الثامن عشر، ثم إلى منزلة التربيع الثاني وذلك في

1 ينظر: رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة: مجلة الإعجاز العلمي، العدد العاشر، شهر رجب 1422هـ، ص38.

2جابر بن موسى أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي القدير: (ت: ق14هـ ط5، مكتبه العلوم والحكم، المدينة المنورة، 2003م، 377/4.

ليلة الثالث والعشرين، ثم إلى منزلة الهلال الثاني وذلك في ليلة السادس والعشرين من الشهر القمري، ويستمر في هذه المرحلة ليلتين متتاليتين حتى يصل إلى مرحلة المحاق في آخر ليلة أو ليلتين من الشهر القمري، ثم يعود القمر إلى وضع الاقتران بين الأرض والشمس والاحتجاب تماماً ليلة او ليلتينِ حتى يولد من جديد [1]. وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿**وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ**﴾ [يس: 39].

ويمكن إظهار حكمة الشارع في اعتماد الأشهر القمرية في إيقاع العبادات كالحج والصوم وعدة المطلقة وغيرها، وذلك أن الحساب القمري متيسر لكل أحد، كونه يمكن العلم به من خلال الرؤية البصرية المتيسرة للأمِّيين والمتعلمين سواء، ولأهل البدو والحضر سواء، فلا تتوقف معرفة على وجود الرياسات الدينية والدنيوية ولا تحكم الرؤساء.

ومن حكمته أيضا أن هذه العبادات تقع وتدور في جميع فصول السنة القمرية مما يتيح للمسلمين عبادة ربهم في جميع الأوقات من الصيف والشتاء والربيع وفي الأوقات الحارة والباردة والمعتدلة، وهذا من تمام العبودية لله عز وجل [2].

المطلب الثالث: الحكمة من تحريم لحم الخنزير.

قال الشيخ رشيد الخطيب الموصلي رحمه الله: "وأما لحم الخنزير فقد ذكر في تقرير للمعهد الطبي في الولايات المتحدة الأمريكية أن في تلك البلاد التي تأكل لحم الخنزير تختلف نسبة الإصابات بديدان التريكينيلا بين 5-35 في المئة على اختلاف تلك البلدان في نسبة تناولها له، كما أن أعراضها تظهر على الملايين من أهالي تلك البلاد لأشكال شتى، مثل ارتفاع درجة الحرارة، ونزلات معوية، وآلام في العضلات والمفاصل.

ويقول التقرير المذكور في ختامه ويحتمل أن بضعة آلاف من الوفيات سنوياً سببها هذهِ الدودة فما أعظم حكمة الإسلام وما أكبر عنايتهِ بالأرواحِ والأجسام" [3].

لقد نظمت الشريعة الإسلامية حياة المسلم تنظيماً في غاية الدقة والوضوح، فجاءت أحكامها متوافقة مع ما فيه مصالح الإنسان ومنافعهُ، فأحلت له كل ما فيه صلاحه، وحرمت عليه الأشياء الضارة وما لا نفع فيها بطريقة علمية تتوافق مع العقل والفطرة السليمة، فبينت له الحلال والحرام في جميع شؤونه بما في ذلك الطعام

1 ينظر: محمد بن أحمد أبو زهرة : زهرة التفاسير، (ت:1394هـ ط1، دار الفكر العربي، بيروت، (د.ت،3297/6، والسماء في القران الكريم، زغلول النجار، ص518.

2 ينظر: محمد رشيد رضا: تفسير المنار، 358/10، والطبيعيات في الإعجاز العلمي للقران الكريم، عبد العليم خضر، ص128.

3رشيد الخطيب الموصلي: تفسير أولى ما قيل، 178/3.

والشراب، قال تعالى: ﴿**يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ**﴾ [المائدة: 4] وقال تعالى: ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ**﴾ [الأعراف: 157].

وقد جاءت نصوص الشريعة في تحريم بعض المآكل فكانت مما يقطع النص بتحريمه أكل لحم الخنزير، قال تعالى: ﴿**حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ**﴾ [المائدة: 3]، والخنزير أحد الحيوانات الثدّية ثنائية التغذية، أي تتغذى على النباتات واللحوم وهي من الحيوانات التي عرفها الإنسان منذ القدم، وتنتشر في معظم البلدان في العالم، وهي تشكل مصدراً مهما من مصادر الثروة الحيوانية في تلك البلدان، في الوقت الذي حرمت فيه الشريعة الإسلامية تناول لحم الخنزير وشحمه ودهنه وحليبه، وقد أثبتت الدراسات العلمية والأبحاث الطبية خطر وضرر تناول لحوم هذه الحيوانات على الصحة وسلامة الإنسان [1].

فنظراً لكون الخنزير يصنف من الحيوانات الرمامة غير المجترة [2]، والتي تعتاش على أكل الجيف والنفايات وكل ما هو مستقذر، فهو عرضة للإصابة بالعديد من الأمراض كأمثال حمرة الخنازير والتي تسبب فيها أنواع خاصة من البكتريا الضارة وتنتقل إلى الإنسان، بالإضافة إلى حمى الخنازير أو ما يسمى بكوليرا الحلاليف، ويتسبب في هذا المرض فايروس خاص يتكاثر في الجيف، كما أن أكل لحوم الخنزير يتسبب بالإصابة بمرض حويصلات الخنازير وهو مرض يشبه مرض الحمى القلاعية وينتقل إلى الإنسان عن طريق الأكل، بالإضافة إلى أن لحوم الخنزير تحتوي على الكثير من المواد والعناصر المسببة للسرطانات والطفيليات والجراثيم [3].

وقد أثبتت الدراسات والبحوث الطبية أن الخنزير يُعد أكبر مستودع للجراثيم الضارة، فهو يعد سبباً رئيساً للإصابة بالأمراض الطفيلية ومنها تلك التي تنشأ عن طريق الدودة اللولبية التي هي من أخطر الديدان على صحة الإنسان، وتتركز هذه الديدان في عضلات لحم الخنزير، كما أن لحمهُ يحتوي على نسبة كبيرة من الديدان الشريطية التي قد يصل طولها إلى أكثر من عشرة أقدام، وتتركز هذه الديدان في مخ الخنزير وكبده ورئته، والإصابة بها يؤدي إلى حصول اضطرابات هضمية، وتسبب فقر الدم الحاد [4].

---

1 ينظر: عادل الصعيدي: الإعجاز التشريعي في تحريم لحم الخنزير، بحث نشر في موقع جامعة الايمان، بتاريخ 19 مايو 2017م.

2 المجترة: إجترَّ يجترّ، اجترارًا، فهو مُجْتَرّ، والمفعول مُجتَرّ (للمتعدّي اجترَّ البعيرُ ونحوُه (من الدواب: أعاد الأكلَ من بطنه إلى فمه ليمضغه ثانية ثم يبلعه؛ والحيوانات المجترة هي التي تأكل الحشائش دون مضغ ثم تعيد مضغه بعد استرجاعه من معدتها، ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب- بيروت، ط1، 1429هـ - 2008م، 362/1.

3 ينظر: زغلول النجار: الحيوان في القران الكريم، ص360.

4 ينظر: زغلول النجار: موسوعة الإعجاز العلمي في القران الكريم و السنة المطهرة، ص 649.

ومما يؤكده الأطباء أن لحم الخنزير يعد وسطاً ملائماً لانتشار ديدان الإسكارس التي تسبب الالتهاب الرئوي للإنسان وانسداد الأمعاء، كما أن لحم الخنزير يحتوي على عدد كبير من ديدان الانكلستوما، والبلهارزيا، والدوسنتاريا التي تسبب في حصول النزف الحاد وفقر الدم وغيره من الأمراض التي تؤدي إلى وفاة الإنسان [1].

وبالإضافة إلى كل ما قد تقدم فإن لحم الخنزير يعد بيئة ملائمة لكثير من الأمراض البكتيرية، كالسل الرئوي والكوليرا التفودية، والباراقوتبوفيئد، والحمى المالطية، كما أنه يعد بيئة ملائمه للكثير من الأمراض الفايروسية كالتهاب الدماغ والتهاب عضلة القلب، والانفلونزا، والتهاب الفم البقري، وتضخم الكبد والطحال والتهاب الرئتين وعضلات القلب، والالتهاب السحائي، وغيرها من الأمراض التي يطول ذكرها [2].

وهذه الأضرار وغيرها دليل على أن الشارع الحكيم ما حرم تناول لحم الخنزير إلاّ لحكمه جليلة وغاية عظيمة، وهي الحفاظ على النفس البشرية التي جعل الشرع الحفاظ عليها إحدى الضروريات الخمس.

المطلب الرابع: الحكمة من تشريع غسل الجنابة.

قال الشيخ رشيد الخطيب الموصلي رحمه الله: "ومن شأن الجنابة أن تحدث تهيجاً في المجموع العصبي، يتأثر به البدن كلهُ ويعقبها فتور وضعف يزيله الماء، ولذلك جاء في الحديث: «إنما الماء من الماء» [3]، فأوجب الله سبحانه وتعالى فيما جعله غاية للنهي عن صلاة الجنب أن يتحرى الإنسان في صلاتهِ النظافة والنشاط" [4].

لقد من الله علينا حين أوجد في أجسامنا آليات وعمليات مختلفة يتم من خلالها موازنة كمية العناصر والمواد الضرورية في الجسم، وفي الوقت نفسه يقوم الجسم بالتنقية الذاتية عن طريق الغدد في إخراج المواد المؤذية والضارة لجسم الإنسان، ومن هذه المواد المضرة البول، والغائط، والعرق، فهي مواد سامة ومؤذية وقاتلة يعمل الجسم على التخلص منها يومياً وطردها إلى الخارج، لأن بقائها في جسم الإنسان يؤدي إلى هلاكه وموته [5].

ولقد أثبتت البحوث الطبية أن للغدد العرقية وظائف عدّة في جسم الإنسان فإنها تلطف الجلد، وتعمل على موازنة حرارتهِ، بالإضافةِ إلى أنها تساهم بشكل مباشر في طرح المواد الضارة، والسامة واخراجها من الجسم،

1 ينظر: عبد السلام اللوح: الإعجاز العلمي في القران الكريم، ص223.

2 ينظر: زغلول النجار: موسوعة الإعجاز العلمي في القران الكريم والسنة المطهرة، ص650.

3صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب إنما الماء من الماء، برقم 343، 185/1.

4رشيد الخطيب الموصلي: تفسير أولى ما قيل، 63/3.

5 ينظر: عبد البديع حمزة زللي: الإعجاز العلمي في لفظ الجنابة وحكمها الشرعي، معهد البحوث والاستشارات بجامعة طيبة، المدينة المنورة، ص77.

حيث تستطيع هذه الغدد أن تخرج كمية أكبر مما يخرجه البول لدى الاشخاص الذين يقومون بنشاطات شاقة أو رياضية أو العاملين في بيئة حارة.

ويتركب العرق من عدة عناصر منها الصوديوم، والكلور، والأمونيا، والكالسيوم، والفسفور، والمغنسيوم، واليود، والكبريتات، والحديد، والزنك، وأحماض أمينية، وبروتينات، وملح الحامض البني (لكتات)، واليوريا، فالجسم يحتوي على أعداد لا حصر لها من المسامات في الجلد، والتي تقوم الغدد العرقية بطرح هذه السموم من خلال هذه المسامات، ونسبة طرح هذهِ الإفرازات والسموم تزداد عند الهياج الجنسي، وعند الإنزال، وهذا ما دعا الشارع للأمر بالاغتسال بعد الجماع، حيث أن هذهِ الإفرازات يطرحها الجسم من داخله إلى سطحه الخارجي فتبقى هذه الإفرازات على سطح الجلد الخارجي فتشكل طبقة شبيهة بمادة البلاستك، وقد أثبتت الأبحاث والدراسات إن بقاء هذهِ المواد على الجلد لمدة طويلة يعمل على سد المسامات الجلدية مما يؤدي إلى زيادة المواد السامة في الجسم إضافة إلى أن بقاء هذه المواد على الجلد قد يؤدي إلى إعادة امتصاصها من جديد؛ لأن الجلد له القدرة على إعادة امتصاص العناصر التي أفرزها من قبل [1].

ومن أجل هذا كله فقد أمر الشرع الحكيم بالاغتسال بعد الجنابة فقال تعالى: ﴿**وَإِن كُنتُم جُنُبا فَٱطَّهَّرُواْ**﴾ [المائدة: 6]، وللاغتسال من الجنابةِ بعد الجماع فوائد جمة منها تنشيط الدورة الدموية عند الرجل والمرأة، خاصةً أن الجماع يودي إلى وهن شديد في الجهاز العصبي، وفتور في الجسم، ورغبة في النوم، وكآبةً نفسية عند بعض الأشخاص، والاغتسال يذهب ذلك كله فينشط الجسم ويقوي البدن وينعش الروح، ويعيد النظافة والنضارة والتألق للمرء ويجعلهُ في أكمل حالاتهِ النفسية والجسمانية [2].

1 ينظر: المصدر نفسه، ص26.

2 ينظر: زغلول النجار: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص 928.

الخاتمة والنتائج

الحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد. ففي ختام هذا البحث خلص الباحث إلى جملة من النتائج التي كانت بمثابة الخلاصة لما تقدم، ويمكن إجمالها بما يأتي:

1. أظهرت هذه الدراسة اهتمام الشيخ رشيد الموصلي بدراسة الظواهر الطبيعية في الكون وربطها بالآيات القرآنية في إثبات حقيقة أن منزل القرآن هو الله خالق الكون جل جلاله.
2. أظهرت هذه الدراسة عناية الشيخ رشيد الموصلي بعلوم الطبيعة والفلك وعلوم الفيزياء والطب وتوظيفها في خدمة الكتاب العزيز وهذا ما لمسناه واضحاً في ثنايا تفسيره رحمه الله.
3. أظهرت هذه الدراسة محاولة الشيخ رشيد الموصلي تحقيق التفسير العلمي للقرآن الكريم في ضوء القواعد العلمية المقررة في كتب التفسير وعلوم القرآن.
4. أظهرت هذه الدراسة دقة الشيخ رشيد الموصلي في تناوله الآثار العلمية في تفسيره ومدى مطابقتها للحقائق العلمية المعاصرة.
5. إن التفسير العلمي هو بمثابة الأساس والمقدمة للإعجاز العلمي لذا فإن ما يشترط لصحة الإعجاز العلمي هو شرط لصحة التفسير العلمي.
6. تمثل هذه الحقائق خطاباً كونياً لأهل العصر تشهد بأن القرآن لا يمكن أن يكون صناعة بشرية.
7. أظهرت هذه الدراسة سعة السماء الدنيا بمقادير ومسافات لا يتصورها العقل البشري.
8. بينت هذه الدراسة التفسير العلمي لظاهرة الشهب والنيازك والأسباب الدافعة لحدوث هذه الظاهرة.
9. كشفت هذه الدراسة العلاقة بين الرياح والمطر، وكيفية تكوين السحب ونزول الأمطار.
10. أظهرت هذه الدراسة عظمة الإبداع الإلهي والمتمثلة بحركة النظام الشمسي ضمن تناسق عجيب ومتقن لا يقدر عليه إلاّ خالق السماوات والأرض.
11. بينت هذه الدراسة الأهمية البالغة للشمس والقمر إذ لولاهما لانعدمت الحياة على سطح الأرض.
12. إن نظامنا الشمسي الذي نعيش فيه يسير وفق آلية دقيقة للغاية وفي تناسق عجيب يدل دلالةً واضحة على أن هذا الكون من إبداع خالقٍ حكيم وإنه لم يأت صدفة.

13. كشفت هذه الدراسة أنه يوجد على سطح الأرض منطقتا الشروق والغروب الدائم، وأن القرآن قد أشاره إلى ذلك قبل أن يكتشف الإنسان بمراكبه الحديثة هاتين المنطقتين بمئات السنين وفي هذا إشارة واضحة في الدلالة على صدق نبوة محمد ﷺ وأن القرآن كلام الله تعالى.

14. كشفت هذه الدراسة عظم النعم التي أنعمها الله على الإنسان، حيث أوجد له كل ما تستقيم به حياتهُ فنوع له بين المحاصيل شكلاً وطعماً وفق ما يكون فيه صلاح معيشته.

15. إن من بديع صنع الله في خلقه هذا التناسق بين المخلوقات، فإن الله عز وجل أحدث كل شيءٍ في نظام روعي فيه الدقة في التقدير بين الكمَّ والنوعِ، وضمن مقادير موزونة ومهيئة لإصلاح الحياة على الأرض.

16. إن عجائبَ الله في خلقه كثيرةٌ ولعلّ من أعجبها خلق الظلّ الذي يعدُّ آيةً من آياتِ الله الدالة على حكمهِ وعظيم قدرتهِ إذ لولاهُ لتعذرت الحياة على الأرض.

17. بينت هذه الدراسة حكمة الله في اختلاف لغات الخلقِ وألوانهم مع كونهم من أب واحد وأصلٍ واحد، وهذا من أعظم الدلائل على كمال قدرتهِ ونفوذُ مشيئته.

18. بينت الدراسة الحكمة من تشريع الصيام.

19. بينت الدراسة الحكمة من جعل العبادات على التوقيت بالأهلة.

20. بينت الدراسة الإعجاز التشريعي في غسل الجنابة.

21. أظهرت الدراسة المخاطر الصحية للحم الخنزير والحكمة التشريعية في تحريم تناوله.

التوصيات:

وبعد أن أتم الباحث رسالتهُ هذهِ، وأظهر النتائج التي خلُص إليها من هذا البحث فإنه يوصي بجملة من التوصيات أهمها ما يأتي:

1- يوصي الباحث طلبة العلم بالاهتمام بعلوم القرآن الكريم وتفسيره، وذلك لحاجة الأمة إلى العاملين بمعاني القرآن الكريم وأحكامه.

2- يوصي الباحث المؤسسات العلمية بإنشاء مجامع وهيئات علمية متخصصة في الرد على الشبهات التي تطرح حول القرآن الكريم من هنا وهناك.

3- يوصي الباحث القائمين على أقسام علوم القرآن في الجامعات الإسلامية من إنشاء قسم متخصص يهتم بدراسة الشبهات حول القرآن والآراء الدخيلة التي تريد زعزعة ثوابت الدين وعلى رأسها علوم التفسير ومعاني القرآن.

4- كما يوصي الباحث الجهات المسؤولة وذات العلاقة وطلبة العلم المتخصصين بهذا الشأن من خلال تشجيعهم وتوفير الأجواء المناسبة لهم والمصادر العلمية التي يحتاجونها، وإن تطلب الأمر الدعم المادي ليتفرغوا لخدمة القرآن الكريم، كونهم يمثلون خطوط الصد والدفاع الأولى.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر:

1. إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي (ت:790هـ): الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، دار ابن عفان، الرياض، 1997م.
2. إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط، دار الدعوة، إستانبول، (د.ت).
3. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (ت: 751هـ): مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
4. ----------: مدارج السالكين بين منازل إياد نعبدُ وإياك نستعين، تحقيق: محمد بن المعتصم بالله، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996م، 273/3.
5. ابن حجر، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل (ت: 852هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، ط، دار المعرفة، بيروت، 1959م.
6. ----------: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، حقيق محمد عبد المعيد خان، ط2، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1972م.
7. ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد (ت: 851هـ): طبقات الشافعية، تحقيق: عبد العليم خان، ط1، دار عالم الكتب، بيروت، 1987م.
8. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ): البداية والنهاية، تحقيق على شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1988م.
9. ----------: تفسير القرآن العظيم، تحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ.

10. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ): سنن ابي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، (د.ت).

11. أبو العباس تقي الدين احمد بن تيمية الحراني الدمشقي (ت:728هـ): مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز، ط1، دار الوفاء، القاهرة- مصر، 2003م.

12. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ): جواهر القرآن، تحقيق: الدكتور محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط2، 1406هـ -1986م.

13. أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت207هـ): معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، ط1، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، (د.ت).

14. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ): مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط3، 1420هـ.

15. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.

16. أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زَكَرِيّا (ت: 395هـ): معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السَّلام محمد هَارُون، ط1، اتحاد الكتاب العرب، بيروت، 2002م.

17. أحمد بن محمد بن علي الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (ت:770هـ)، ط1، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت).

18. احمد بن مصطفى المراغي: تفسير المراغي، (ت:1371هـ)، ط1، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1946م.

19. إسماعيل بن عمر بن كثير: طبقات الشافعيين (ت: 774هـ)، تحقيق أنور الباز، دار الوفاء، المنصورة، مصر العربية، 2004م.

20. الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ): مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م.

21. الامام الزرقاني, محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: 1367هـ): مناهل العرفان في علوم القرآن, ط3, مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه, د.ت. 250/2.

22. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت:256هـ): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ.

23. تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت:771هـ) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود الطنطاوي وعبد الفتاح الحلو، ط2, دار هجر للطباعة، بيروت– لبنان, 1993م.

24. جابر بن موسى أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي القدير: (ت: ق14هـ) ط5، مكتبه العلوم والحكم، المدينة المنورة، 2003م.

25. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911هـ): معترك الأقران في إعجاز القرآن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988م.

26. تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت:771هـ) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود الطنطاوي وعبد الفتاح الحلو، ط2، دار هجر للطباعة، بيروت– لبنان، 1993م.

27. جابر بن موسى أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي القدير: (ت: ق14هـ) ط5، مكتبه العلوم والحكم، المدينة المنورة، 2003م.

28. الحاكم، محمد بن عبد الله الضبي الطهماني النيسابوري (ت: 405هـ): المستدرك على الصحيحين، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م.

29. خير الدين بن محمود الزركلي (ت:1396هـ): الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، 2002م.

30. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ): سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ - 1985م.

31. الذهبي، محمد بن أحمد بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ): تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق: بشار عوّاد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2003 م، 141/5.

32. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415 هـ.

33. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت:1250هـ): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ط1، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

34. عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت:1376هـ): تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م.

35. محمد بن أحمد أبو زهرة (ت:1394هـ): زهرة التفاسير، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، (د.ت).

36. محمد بن جرير الطبري (ت:310هـ): جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): تحقيق: احمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 2000م.

37. محمد رشيد بن علي رضا القلموني (ت:1354هـ): الوحي المحمدي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.

38. ----------: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990م.

39. محمد متولي الشعراوي (ت: 1418م): معجزة القرآن، ط1، دار أخبار اليوم، القاهرة- مصر، 1993م.

40. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت (د.ت).

41. ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ): انوار التنزيل واسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.

ثالثاً: المراجع:

1. أحمد شوقي عبد السلام ضيف (ت: 1426هـ): الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط13، دار المعارف، بيروت، (د.ت).
2. احمد عزت باشا: الدين والعلم، ط1، لجنة التأليف، القاهرة – مصر، 1980م.
3. باتريك مور: أطلس الكون، ترجمة: امنة حازم رأفت، ط6، الجمعية الملكية البريطانية، 2002 م.
4. جوزف فايس، الاندماج النووي، ترجمة: زينا مغريل، مراجعة ابو بكر سعد الله، ط1، مطابع مدينة.
5. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت:256هـ): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ.
6. الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الرياض، 2004م.
7. حسن عبد الفتاح أحمد: عناية المسلمين بأبرز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ط1، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة– المملكة العربية السعودية (د.ت).
8. حسين الهراوي: النظريات العلمية في القرآن، ط1، مطبعة الرسالة، القاهرة– مصر، 1942م.
9. خالد محمد حماش: منهج العلامة الشيخ رشيد الخطيب الموصلي في تفسيره القرآن، ط1، دار أروقه للدراسات والنشر، عمان– الأردن، 2014م.
10. د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب– بيروت، ط1، 1429هـ – 2008م.
11. دايفيد برجا ميني: كتاب الكون، ط1، مكتبة لايف العلمية، بيروت، 1971م.
12. ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه): جمع وترتيب عبد العزيز الكرم، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 2009م.

13. رشيد الخطيب الموصلي، ط1، مطبعة الجمهورية، الموصل- العراق، 1979م.

14. زغلول راغب النجار: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، (د.م)، (د.ت).

15. ----------: الأرض في القرآن الكريم، ط1، دار المعرفة بيروت- لبنان،2005م.

16. ----------: الحيوان في القرآن الكريم، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2006م.

17. ----------: السماء في القرآن الكريم، ط4، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 2007م.

18. ----------: مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، ط1، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 2009م.

19. ----------: الأرض في القرآن الكريم، بيروت: دار المعرفة، 2005م.

20. سناء مصطفى عبده: كتاب النظام الشمسي، ط1، المكتبة العلمية للنشر، بيروت، 2010م.

21. الشيخ محمد الامين، التفسير العلمي للقرآن بين المجيزين والمانعين، بحث مقدمه للمؤتمر الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، اسلام آباد/ باكستان، سنة 1987م.

22. طنطاوي جوهري (ت:1358هـ): الجواهر في تفسير القرآن الكريم، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة- مصر، 1931م.

23. عادل الصعيدي: الاعجاز التشريعي في تحريم لحم الخنزير، بحث نشر في موقع جامعة الايمان، بتاريخ 19 مايو 2017م.

24. عبد الامير مؤمن، قاموس دار العلم الفلكي، ط، دار العلم للملايين، بيروت، 2006م.

25. عبد البديع حمزة زللي: الأعجاز العلمي في لفظ الجنابة وحكمها الشرعي: معهد البحوث والاستشارات بجامعة طيبة، المدينة المنورة، (د.ت).

26. عبد الحميد بن باديس (ت:1359هـ): مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تحقيق أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

27. عبد الدائم الكحيل: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنه المطهرة، (د.م)، (د.ت).

28. عبد الرحمن بن حسن الجبرتي: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ذكرهُ الجبرتي في عجائب الآثار مرفوعاً من غير سند، ولم أجدهُ في كتب الحديث، (ت: 1237هـ)، ط1، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

29. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: البلاغة العربية أُسسها وعلومها، وفنونها، ط1، دار القلم، دمشق، 1996م.

30. عبد السلام حمدان اللوح: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ط2، دار أفاق، فلسطين، 2002م.

31. عبد العليم عبد الرحمن خضر: الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، ط1، الدار السعودية للنشر، جدة- المملكة العربية السعودية، 1986م.

32. عبد الله بن عبد العزيز المصلح وآخرون: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ط1، دار جياد، الرياض – المملكة العربية السعودية، 2008م.

33. عبد الله بن عبد العزيز المصلح: قواعد تناول الإعجاز العلمي والطبي في السنة وضوابطه، ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، (د.ت).

34. عبد الله بن عبد الله الأهدل: التفسير العلمي للقرآن الكريم، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى، قسم القرآن الكريم وعلومه، (د.ت).

35. عبد المجيد الزنداني: توحيد الخالق، ط1، دار النفائس، عمان- الأردن (د.ت).

36. --------: كتاب التوحيد، ط3، دار المجتمع للنشر، جدة- المملكة العربية السعودية، 1987م.

37. عبد المجيد عبد السلام المحتسب: اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ط3، دار ومكتبة النهضة الإسلامية، عمان- الأردن، 1982م.

38. عبد شحاته: تفسير الآيات الكونية، ط1، دار الاعتصام (د.ت).

39. عقيد خالد حمودي: البيان القرآني في تفسير أولى ما قيل لرشيد الخطيب الموصلي، رسالة ماجستير، قسم علوم القرآن- كلية التربية (ابن رشد) /جامعة بغداد، (د.ت).

40. علم الفلك الراديوي: لجنة الدراسات في مكتب الاتصالات الراديوية، ط3، مطابع مكتب الاتصالات الراديوية، 2013م.

41. عمر محمد طالب: موسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين، نشر على موقع الدكتور عمر طالب بتاريخ 30 يوليو2016م.

42. فخري اسماعيل حسن: مقدمة في الفيزياء الحديثة، ط، دار نوبار لطباعة، شبرا، مصر العربية، 1997م.

43. فرست مرعي إسماعيل: اليهودية في تفسير رشيد الخطيب الموصلي، بحث منشور، مقدم إلى كلية العلوم الإنسانية/ جامعة زاخو، نشر المجلة العربية للعلوم والأبحاث، العدد الثاني، 2018م.

44. فضل حسن عباس: إعجاز القرآن الكريم، ط2، دار النفائس للنشر، عمان- الأردن، 1991م.

45. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، طبعة رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية، ط1، 1986م.

46. فهد خليل زايد، الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، بيروت- عمان، دار النفائس، 2008م

47. قصي آل فرج: صفحات من حياة رشيد أفندي الخطيب، مقال نشر ضمن الندوة التي أعدت للشيخ بعنوان: (الشيخ رشيد الخطيب ودوره الاصلاحي في الموصل).

48. ماهر أحمد الصوفي: آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية، ط1، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، 2007م.

49. ---------: آيات الله في الاعجاز اللغوي والبياني والتشريعي والغيبي في القرآن الكريم:، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 2007م.

50. ---------: آيات الله في خلق الحيوانات البرية والبحرية وبعثها وحسابها،، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2007م.

51. ---------: آيات الله في الجبال والصحاري والغابات وفي النبات والثمار والأزهار والألوان، بيروت، صيدا: المكتبة العصرية، 2007م.

52. ---------: آيات الله في الرياح والمطر والأعاصير والبراكين والزلازل، بيروت: المكتبة العصرية، 2007م.

53. ---------: آيات الله في الموت ونهاية الكون وقيام الساعة، بيروت: المكتبة العصرية، 2007م.

54. مجد أحمد مكي: مقدمة تفسير أولى ما قيل، ط2، دار أروقة للدراسات والنشر، عمان- الأردن، 2014م.

55. مجموعة مؤلفين، الموسوعة الأمريكية، (أبو ظبي، المجمع الثقافي، المجلد 13).

56. ----------: المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، بيروت، (د.ت).

57. محمد حسين الذهبي (ت: 1398هـ): التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، (د.ت).

58. محمد طواش: فوائد وأضرار الصيام، بحث نشر على الشبكة العنكبوتية، موقع مكتبة صيد الفوائد.

59. محمد عبده بن حسن خير الله (ت: 1323هـ): رسالة التوحيد، ط، دار كتاب العربي، بيروت، (د.ت).

60. محمود حمدي زقزوق: الموسوعة القرآنية المتخصصة، ط1، مكتبة ابن حجر، دمشق- سوريا، 2003م.

61. محمود عبد مناجد: الإشارات العلمية عند الشيخ رشيد الخطيب في تفسيره أولى ما قيل، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية/ الجامعة العراقية، لسنة 2020م.

62. مرهف عبد الجبار سقا: التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، ط1، دار محمد الأمين، دمشق- سوريا، 2008م.

63. مرهف عبد الجبار سقا: التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، تحقيق نور الدين عنتر وآخرون، ط1، دار محمد الأمين، دمشق- سوريا، 2010م.

64. مشاهير أعلام المسلمين: علي بن نايف الشحود، (د.م)، (د.ت).

65. مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط9، دار الكتاب، العربي، بيروت- لبنان، 1973م.

66. منصور محمد حسب النبي: الكون كتاب الله المنظور آيات ودلالات، القاهرة: دار الفكر العربي، 2010م.

67. ----------: القرآن الكريم والعلم الحديث، ط1، منشورات جامعة القاهرة- مصر (د.ت).

68. موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة: حسن خالد، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1990م.

69. الموسوعة العربية العالمية، (د.م)، (د.ت).

70. الموسوعة العلمية الأمريكية: دولة الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي، المجمع الثقافي (د.ت).

71. موقع طريق الإسلام على شبكه النت- موريس بوكاي-، تاريخ النشر2003/7/17م.

72. هبة سعيد فارس: الإعجاز العلمي في آيات بداية الكون ونهايته، ط1، منشورات الجامعة الإسلامية، غزة –فلسطين، 2011م.

73. وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى، مدخل علمي إلى الإيمان، تحقيق: عبد الصبور شاهين، ط1، مكتبة الرسالة، بيروت- لبنان (د.ت).

رابعاً: المقالات والمجلات والمواقع الإلكترونية:

1. جريدة الشرق الأوسط، في عدد أبريل لسنه 2019م.

2. رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة: مجلة الإعجاز العلمي، العدد العاشر، شهر رجب 1422هـ.

3. مقال بعنوان مسجد ومدرسة الشيخ الرضواني في الموصل، كتبه الباحث غانم محمد الحيو، ونشر على موقع بيت الموصل على شبكة النت بتاريخ 9/ 9/ 2013م.

4. مقال كتبه العالم الأمريكي نيل ديكراس تايسون، مدير قبة هايدن السماوية، مجله الاتحاد الفلكي الدولي في عدد كانون الثاني/ يناير لسنة 2007م.

5. رأفت فياض، وعبد الواحد أبو مسامح، مجلة ناسا بالعربي، (عدد أذار، وعدد تموز، وعدد آب لسنة 2015م)، (عدد تشرين الأول لسنه 2016م)، (العدد9/ أيلول لسنه 2017م).

6. سديم، الموسوعة الحرة ويكيبيديا، https://ar.wikipedia.org /.

السيرة الذاتية

أكمل الباحث دراسته الأكاديمية في كلية التربية قسم علوم القرآن الكريم والتربية الإسلامية- الجامعة العراقية وتخرج منها في عام 2013-2014م. درس الماجستير- في جامعة كارابوك قسم العلوم الاسلامية الأساسية.

ŞEYH REŞIT MUHAMMED HATIP MUSILÎ'NIN EVLÂ MÂ KÎL FÎ ÂYÂTI'T-TENZÎL ADLI İLMÎ TEFSIRI - OBJEKTIF ÇALIŞMA

Ali Saeed KHALAF

2022
YÜKSEK LİSANS TEZİ
TEMEL İSLAMI BILIMLERI

Tez Danışmanı
Prof. Dr. Abdulcebbar KAVAK